

صنوبری ابوالمجد

ایام الفساروق

من الملك الى شعب

شعبي المحبوب

منذ خاطبتكم المرة الأخيرة ، سرت بنا أوقات عصيبة تلاحقت فيها الحوادث سراعاً . فكنت أدخلو إلى نفسي ، وأتجه إلى ربي ، أسأله أن يحفظ بلادنا العزيزة ، وأن يرفع عن كاهل الإنسانية شرور الحرب ، ويعيد إلى العالم عصر سلام قائم على العدالة والتعاطف والوئام . وقد أذن الله بالنصر للدول الديمقراطية التي تتحد غايتنا وغايتهم وقريباً تنطلق الأمم من عقال الآلام والمحن . فلنسا اليوم أن نغتنب ، وأن نحول الأنظار إلى فجر مستقبل تمتد فيه الحرية رواقها على الجميع .

وإن من بواعث سروري أن أتحدث إليكم ونحن نستقبل العام الهجري الجديد ، الذي نحفظ له أكرم الذكريات ، لما يتمثل في الهجرة من معاني البطولة الخالدة للنبي الأمين .

لقد كانت الهجرة مبدأ تاريخ العصر الجديد . عز فيه الحق ، وتحررت النفوس من ذل العبودية .

فلنتخذ من تاريخ الهجرة عظة وعبرة ، ولنستلهم منها كل معنى كريم : يؤهل للحياة الحرة الكريمة .

وإنه ليسعدني أن أهتكم والأم الإسلامية بهذا العبد المجيد ،
وأبعث إلى الجميع بتحياتي الخالصة ، وتمنياتي الطيبة ، وأدعو الله
أن يحقق للأمم العربية مساعيها في تحقيق الوحدة العربية التي تصبو
إليها ، والتي تجمع شملها وتوحد كلمتها ، وتكسيها قوة وأمناً ،
ورخاء وطمأنينة .

بني وطني

إن عظمة كل أمة كامنة في روح شعبها . وإني لأقدر أعظم
التقدير ما لشعبي العظيم من المزايا السامية ، وليس من شك في
طبيعة الصعوبات التي تنتظرنا بعد الحرب ، والتي تتضائل بجانبها
الصعوبات التي نواجهها الآن وستكون أياماً تمتحن فيها قوة
شعبنا ومضاء عزيمتنا . وإن يعصمنا من هذه الشدة سوى الإيمان
بالله ، والثقة بأنفسنا ، فإنها آية القوة في بناء الأمم .

وإني أهيب بكم أن تعملوا لمواجهة المستقبل بملء الثقة حتى
تتخطى أشواك العوائق ، وأن تكونوا حول راية الوطن قلباً
واحداً وأمة واحدة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

رسالة الملك

إلى خريجي الجامعات والمعاهد

الذين نالوا شرف ضيافته الملكية

أحييكم يا شباب العلم ، يا خريجي الجامعات والمعاهد ، أحيي
فتاتكم وأحيي فتاكم . إنني لأشعر بالغبطة نغمر نفسي إذ أراكم
تحفون بعرشي ، وتحيطون تاجي بهالة من علمكم وشبابكم . وإن
عرشاً ، وإن تاجاً ، يحف بهما العلم والشباب . لعرش وتاج
جديران بمصر ، مصر التي كانت ، ومصر التي ستكون .

أما مصر التي كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها ، والتغنى
بآثارها ، وأما مصر التي ستكون فأنتم المسؤولون عنها ، وإنها
لأمانة في أعناقكم ، فلا تجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من
أنشودته في أجدادكم .

لقد أردت بهذا الاجتماع أن تلمسوا من قرب حبي لكم ،
وتقديرى للعلم في أشخاصكم ، وأن تحيوا باسمي زملاءكم الذين تواضع
بهم حظهم بفناءوا بعدكم في ترتيب النجاح ، وأن تبلغوهم اعتزازي
بنجاحكم ، فإن كل إجازة علمية جديدة تعد نجماً ساطعاً في سماء بلادى

أنتم حملة المشاعل ، وكثيرون ينتظرون الضوء الذى تحملون
ليبتدوا به فى طريق الحياة ، فلا تطيلوا انتظارهم ، وانفجروا بعلمكم
وانفجروا . وليكن لكم من دينكم ووطنيتكم ، وإيمانكم وأمانتكم
حصانة تقيكم من الزلل .

ارفعوا المشاعل فوق الطريق ، ولا تجعلوها تثاراً تحرق ، بل
اجعلوها نوراً يضيء ، وعلى بركة الله سبيروا فى طريقكم ، وهذه
يلى فى أيديكم ، تساهم فى العمل معكم . يد قوية ، لا لأنها يد ملك
ولا لأنها يد شاب ، ولكن لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته .
فلتؤمن جميعاً بمصر ، فإنها كناية الله ، ولنعمل لها ، وسيرى
الله أعمالنا ، ويبرزكم .

فادوم



فأروق الأول

العامل الأول

في هذه الصفحات المعدودات سأحاول أن أصور جلالة الملك المحبوب
تصويراً لا ميزة له إلا صدق الإخلاص فيه .
الملك هو بدون شك العامل الأول .

العامل الأول لرفعة شأن الأمة وللنوض بها إلى ذروة المجد .
العامل الأول لما فيه سعادة طبقات شعبه المتيم به .
العامل الأول في ميدان الكفاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي .
العامل الأول لنشر المبادئ الدستورية الصحيحة والديمقراطية الصادقة .
العامل الأول لكل عمل أول . . .
والملك هو بدون شك العامل الأول .

العامل الأول لأنه عمل على إسعاد طبقات العمال جميعاً .

العامل الأول لأنه أسعد الناس بولاء العمال جميعاً .

العامل الأول لأنه منصف العامل ورافع شأن العامل .

العامل الأول لأنه منقذ كل عامل .

العامل الأول لأنه حبيب العمال ومليك .

وكيف لا يكون فأروق هو العامل الأول . . . لقد ظل العمال في
زوايا النسيان حتى جاء فأروق فأعلى ذكرهم . . وأشاد بمجهوداتهم . .
وزارهم في مقر أعمالهم وحادثهم في شؤونهم وأحوالهم . . وصالحهم وتغدى

وأفطر معهم . . . وهم بملابس العمل كأنه واحد منهم . . .
أمله في الحياة « أنت تتوفر لكل عامل في مملكته وسائل المعيشة
الحسنة وتيسر له سبل التوفيق » .

« هو يحب العمال لأنه عامل مثلهم على خدمة الوطن وإعلاء كلمة الله . .
كلكم جنوده وكلكم خدامه . . وملاككم أول خادم للوطن . . أحبك إلى
أشدكم رعاية لواجبه وأكرمكم لديه أكثركم تفانياً في خدمة الوطن » . .
وهو يحب العمال لأنهم يستأهلون حبه وعطفه يحترقون ليضيقوا لغيرهم
ويشقون ليعتدوا سواهم . ما ترك المليك فرصة تمر إلا وأعلن فيها عطفه
على العامل المصري . . وافتخاره بالعامل المصري وتشجيعه للعامل المصري .
قيل لجلالته ذات يوم إن وكيل الوزارة سيشرح عملية تكرير المياه
في السفينة فقال : « أريد أن أرى الموظف الصغير الذي عمل المحطة وأسمعه
وهو يشرح عمله . . »

وفي المساء الملكية لإفطار العمال وكان عددهم ستائة . قال جلالته
الملك : « كنت أود أن ندعو العمال جميعاً لولا أن القصر لا يتسع لهم » .
وفي رحلة جلالته إلى البحر الأحمر كان العمال يغنون « زورونا في السنة
مرة حرام تنسوننا بالمرة » فقال جلالته : « أنا لم أنساكم فلقد زرتكم في سنة
واحدة مرتين » .

وقال جلالته في إحدى المناسبات : « إنى أريد أن تتوافر لكل عامل في
مملكتي وسائل المعيشة الحسنة ويتيسر له سبل التثقيف . .
وقال أيضاً « إننى عند ما أسمع عن عامل ذكى أبحث عنه وأستدعيه من
أى مكان مهما بعد لأننى أحب أن يظهر في بلادى عمال نوابغ » .

وقال مرة أخرى: « إننى أعجب بكل عامل نشيط يتذكر شيئاً ويحيد صنع
شيء كما أنخر بعمل كبير من كبراء الدولة .

هذا شعور الملك نحو العمال أما شعور العمال نحو مليكهم فبحسبى أن
أذكر مؤتمر العمال الأخير الذى جمع العمال فيه ستائة لتر من دمائهم قدم
هدية إلى جمعية الهلال الأحمر والإسعاف باسم جلالاته كما قدم الكتاب
الآتى مكتوباً بدناء محمد أفندى حافظ كامل صاحب هذا الاقتراح .

إلى حضرة صاحب الجلالة المليك المحبوب العامل الأول :

كان لكريم توجيه جلالتم لحكومتم الماهرية المحبوبة . . . ولما أنسته
فى قلبكم الكبير من عطف سابغ على العمال . . . ورعاية نبيلة لإنصافهم . .
والأخذ بيدهم أكبر الأثر فيما طلعت به على الأمة من إنصاف شامل لهذه
الطبقات المستضعفة . . . التى أصبحت بعطفكم قوية . . . ويحد بكم عليها
أمنت سعيدة فتية . . . لهذا رأى العمال أن يخلدوا هذه المسكرمة لحكومة
جلالتم بمداد اتخذوه من دمائهم . . وفاء وتقديراً . . لما نالوه من خير . .
يذكر . . فيشكر .

يا صاحب الجلالة . . إن العامل المصرى الذى مرجد فى ظلال العرش
الوارفة مهسداً يستريح إليه . . ورأى فى رعاية العرش اقباساً من النور
والأمل أنارت له الطريق . . وكشفت له سواء السبيل . . ليضرع إلى الله
أن يحفظ جلالتم للبلاد ذخراً . . ولنهضتها الاجتماعية قائداً . . وأن
يمكن لكم فى الارض وأن يفسح لكم فى رحاب العمر حتى تجنى مصر فى
عهدكم المبرور خير الأكل وأبرك الثمرات .

والمصري الأول

« هذه يدي أمدّها إليكم ، وهي يد قوية لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شاب ، بل لأنها يد مصري يؤمن بمصريته . . . هكذا قال الفاروق عن نفسه ، وهكذا أثبت التاريخ للفاروق .

وقال جلّالته للسكرولونيل لونييه رئيس بعثة الصليب الأحمر في الشرق الأدنى : « وإذا عدت إلى بلادك الجميلة فإنك ستقول كلاماً طيباً عن بلادى . ولا تسمح لأحد بأن يسيء إلى مصر » .

وقال جلّالته لشعبه : « أعاهدكم عهداً وثقاً على أنى سأقرب حياتى على العمل لنفعكم ، وموالاته السعى فى سبيل إسعادكم » وقال : « اتحدوا وتأخّروا وروضوا أنفسكم على حب النظام والطاعة ، وانثروا بقوميتكم واعتزوا بوطنيتكم وليؤمن كل منكم بأنه يعمل ويحيا ويموت لخير الوطن ونصح جلّالته كل مصري مخلص لوطنه ومليكه أن يكون ذا ثقة بالله وبنفسه وبمليكه » .

وفى عيد ميلاده الكريم لسنة ١٩٤٢ قال : « إن الملك لا يستمد سعادته من انتشار ظله على الأرض ولسكنه يستمد هذه السعادة من تمسكين بحبته فى القلوب ، وإنى لأحمد الله أن وجدت فى كل قلب من قلوبكم عرشاً أعتز به وأفتديه » . ولما زار جلّالته دير سيناء (سانت كاترين) وأمضى جزءاً من وقته دارساً ومنقّباً تبرع بأربعمائة جنيه للدير ، فقال أحد الرهبان هامساً : هذا كرم من ملك المسلمين ، فسمعها جلّالته فقال هامساً : « إننى ملك المصريين جميعاً . . . وهو حقاً ملك المصريين جميعاً لأنه المصري الأول . لقد أخلص لمصر فى الحب فأخلصت له وتعالى فى التضحية لرفعه شأنها فتفالت هى فى التضحية لرفعته شأنها وشأنه .

إن الفاروق هو مصر ومصر هى الفاروق .

... والسودانى الأول

إذا ما ذكرنا مصر الشمال وجب علينا أن نذكر بأخير مصر الجنوب تلك التى لم تحظ برؤية الفاروق ولم تشاهد عن كسب جمال سجايا الفاروق والى هى مشتاقة لرؤية الفاروق . . . تواقه لنيل السعادة فى ظلال الفاروق . شهورها بالحب نحو مليكها شعور قوى دافق لا يحد ولا يوصف . . ودعاؤها إلى الله لينصر الفاروق ويوحد الوادى لا يفتر ولا يضعف . . وأملها الأوحد هو : « تاج واحد ونيل واحد ووطن واحد » .

. وحب أبناء مصر الجنوب للمليك لا يعادله إلا حب أبناء مصر الشمال . وحب الفاروق لأبناء مصر الجنوب لا يعده إلا حبه لأبناء مصر الشمال بل يزيد . . لقد قالت جريدة السودان : لو عرف إخواننا المصريين محبة الفاروق لإخوانهم السودانين لتمنوا أن يكونوا سودانيين . والسودانيون هم المصريون والمصريون هم السودانيون . لا فرق إلا فى الاسم . . . بل إنه لا فرق فى الاسم إذا اعتبرنا — وحقاً يكون اعتبارنا — أن لفظ السودان كلفظ الصعيد والوجه القبلى .

لقد زار جلالة الملك متحف الحضارة المصرية فقال عن قسم السودان هذا هو أهم الأقسام عندى ويهمنى أن يعتر به بصفة خاصة .

فهو السودانى الأول ، والمدافع الأول عن حقوق الوادى وحرية واستقلاله ، هو ابن النيل وهو أب النيل .

... والعربي الأول

الفاروق عاقل العرب . الفاروق زعيم العرب . الفاروق صديق العرب .
تلك هي اليوم أنشودة أبناء العرب ، اتخذوها رمزاً لأمانتهم وعنواناً
لهضمتهم لما لمسوه من عطف جلالته عليهم ودفاعه عنهم ونصرته لقضيتهم .
قال رئيس الجمهورية السورية : « إن البلاد العربية في أشد الحاجة إلى جهود
هذا العاقل العظيم ، وإن فاروقاً ليس لمصر وحدها بل إن البلاد العربية
لتشارك مصر حبها له وإعجابها به والامم العربية سائرة نحو تحقيق أمانها
ومصر في المقدمة وعلى رأسها الفاروق العظيم المؤمن بهذه القضية والعامل
على إنجاحها بما اجتمع له من صفات ومزايا ومناقب أكسبته رفعة المنزلة
في نفوس العرب جميعاً » .

وقال السيد الكبيسي مندوب جلالة الإمام يحيى في مشاورات الوحدة
العربية : « أهنيكم بمولانا فاروق أنعم به وأكرم من ملك هكذا الصلاح
وهكذا التقوى وهكذا الغيرة العربية وإلا . إن قلبه المنطوي على الخير الكثير
لنا ولكم . . . ترى هل يعرف شعبه مدى حبه له ؟ . . . إنه ضمان للمستقبل
الزاهر والحاضر الزاهر بالعظمة ، ونحن لو حاولنا أن نتحدث عن حب
جلالته للبلدان العربية وعن رغبته في سعادتها وهمايتها ، وعن استعداد
لنصرتها لاحتجنا إلى مجلدات ، فحسبي أن أشير إلى ما رفعه الطلاب
السوريون إلى جلالته في ٢١ / ١٢ / ١٩٤٤ .

لقد أهدوا جلالته علماً سورياً كبيراً من الحرير الدمشقي الفاخر
وبأسفله علم أبيض كتب عليه : « إن أمتكم أمة واحدة — هدية الشباب

السورى إلى زعيم الشباب العربى فاروق الأول .
وحسبى أن أضع بين يدي قراء العربية هذه الكلمة الملكية
الفاروقية السامية :

« إن أمانينا فى مستقبل هذا العام الهجرى الجديد أن نرى مصر العزيزة
تسير قدماً فى جميع مرافق الحياة وأن تكون سعادتها نصب العيون وشغل
الأذهان . وأن تتوثق روابط الألفة والإخاء بينها وبين الشعوب العربية ،
وأن يتواصى شعبها المجيد باليقظة والشجاعة والحزم ، فإن الوقت جد
وفى أحداث الأيام تلاحقنا بالنذر .

ومن أعز آمالنا أن نرى الأمم الإسلامية تتبوأ صهوة المجد ، وتمتد
غارب الرفعة ، ولا تتخلف فى مضمار الحضارة ، وأن يتعرف المسلمون
مواضع الضعف فيهم فيقووها ، ومواطن القوة فيزيدوها ، وأن يستمسكوا
بالوحدة فهمى العروة الوثقى التى لا انفصام لها . ويتبعدوا عن الفرقة
والانقسام ، فقديماً فت ذلك فى عضدهم وذهب بريحهم .

وليعلموا أن من أمهات العوامل فى قوتهم التمسك بدينهم ، وفى ضوته
وقويم نهجه تشيع فيهم شائسة القوة ويبلغون ما يوده كل محب للإسلام
من الرغد والصفاء والخفض والهناء .

فاروق

يوم القصاصين

كلمة رئيس الوزراء

دولة الصهر ماهر باشا

... إن أنس لا أنسى زيارتنا لجلالته في مستشفى القصاصين عندما اجتمعنا حوله مباركين مهنئين مهللين مكبرين . فقد كنا في حضرة جلالته مأخوذين بمظاهر الشجاعة والقوة التي زادها الحادث وضوحاً فيه ، وكنا نخورين أن ملكنا العظيم عندما غابت عنه في مأواه مظاهر الملك ، لم تغب عنه مظاهر العظمة ، ولم تفارقه سجية الإيمان بالله العلي القدير ، وزدنا فخراً عندما تحدث إلينا جلالته حفظه الله ، فطرح ألمه ، ونسى جرحه ، وراح يحدثنا عن وطنه وبلاده ، وآماله وأمانيه . وكان كثير السؤال عن رعيته ، مشفقاً على أمته أن تجشمت في سبيله بعض العناء ، وما درى جلالته أن الأمة إذ سعت إليه إنما كانت تسعى سعى المحبين ، إن لم أقل سعى الوالدين المتلهفين .

ولقد كانت ضراعة الناس إلى الله أن يحفظ الملك ، ويرعى الملك ، تتجاوب أصداً الوادى ، فكانت أشجى الانغام إلى السمع وأحب الكلمات إلى القلوب في تلك الساعات الرهيبة .

وكأنما كان حادث القصاصين عهداً جديداً بين الملك والشعب على الحب والولاء . وبرهاناً أكيداً على تعلق الأمة بأميرها العزيز .

والعودة الظافرة التي عادها الملك العظيم إلى عاصمة ملكه ، كانت غزواً
جديداً لقلوب الناس أجمعين ، فحسبهم ما رأوا عند عودته ، إذ تراصت
أفواجهم وتزاحمت جموعهم لا ليروا الملك فحسب ، بل ليبادلوه تحية الحب
والوفاء ، ويؤكدوا له صدق العهد والولاء .

ولقد كان لتلك المظاهر فوق ما تقدم من جليل الخطر ووافر الثمر ،
ما بقي ملحوظ الأثر فيما تلا ذلك من أحداث ، ولست أبالغ إذا قلت أن
حادث القصاصين كان على مهنضه ، فاتحة الخير ، وبادرة النصر المبين .



كلمة وزير الدفاع

مهدي الاستاذ سيمر سليم

في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ بينما الحياة تسير في
جراها الطبيعي . إذا بخبر مفرع لحادث مفرج ، ما كاد يصل إلى سمعي حتى
هلع قلبي ، ذلك هو السهم الذي وجهه القدر إلينا في أعز عزيز لدينا .

أصيب الفاروق العظيم بين عشية وضحاها ، وإذا بمصر تصاب في راعيها
ورمز أمانها . ما كدت أسمع الخبر حتى نظرت إلى المستقبل القاتم وهو
حالك السواد ، فها أنى أرى مصر وهي طريحة الفراش فقمت مبتهلاً إلى الله
جلت قدرته وعلت مشيئته . تضرعت مع المتضرعين ، وسجدت مع الساجدين ،
وحججت مع الحاجين إلى القصاصين نتنسم الخبر في العشاء وفي السحر .

وكان الله وهو أعلم بمصر وحالها ، وسحاجة شعبها للملكها ، وحب الرعية
لحاميتها وراعيتها قد أشفق عليها أن تصل إليها يد الأقدار . فأحاطها جلته
قدرته بسياج منيع من رعايته وحسن عنايته . فسبحان من جعل يده
العسر يسرا .

انقلبت الوجوه من وجورها إلى بهائها والمواطن من هلعها إلى فرحها
والقلوب من قلقها إلى طمأنينتها والآمال من حالك سوادها إلى ناصع نورها
فلا غرو أن تستقبل الأمة بأسرها ملكها وزين شبابها ومعقد آمالها وعنوان
نهمضتها استقبالا رائعا لم تر البلاد له مثيلا في روعته وعظمته عند عودته
مظفرا مكلا بإكليل الصحة والفخار في اليوم السابع من ديسمبر سنة ١٩٤٣
تلك هي الذكرى الخالدة لحادث القصاصين الخالد الذي لن أنساه مدى
الحياة .

عاشت مصر للملك م

سورة البقرة الى نبي الرحمة

مولاي يا صاحب الجلالة

من نعم الله جل وعلا أن زرع محبتكم الغالية في قلب كل فرد من أفراد شعبكم الوفي ، وأمتكم الكريمة ، ولقد نمت هذه المحبة وترعرعت حتى غدت شجرة مباركة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، آتت وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها من إخلاص وولاء وحسب وفداء وتضحية ووفاء . وكانت وما تزال وستبقى إلى الأبد أعجوبة من أعاجيب هذا العصر ومعجزة من معجزات مصر . وغدت وتستغدو في كل زمان ومكان المثل الأعلى والقعدة السامية للمحبة العالية . وهل هناك في الدنيا بأسرها شعب يحب ماله وماليكه كما يحب شعب مصر فاروقه ؟ وهل في صحائف التاريخ من أول يوم فيه حتى هاته اللحظة أن قدم إلى الله سبحانه وتعالى أفراد أمة بأسرها أرواحهم وأجسامهم وأبنائهم وأزواجهم وذرائعهم تضحية وقربانا لعله يتدارك بعنايته ورعايته أعز الناس وأحب الناس وأنبأ الناس ، وأصدق الناس ، لقد كان ذلك في يوم القصاصين ، ويوم القصاصين يا مولاي هو يومكم الخالد ويوم شعبكم الباقي ، فيه امتحنكم القدر فنجحتما — بفضل الله وعنايته — في الامتحان ، وفيه اختبركم القضاء فثبتكم الله بقوته في الاختبار ، ويوم القصاصين يا مولاي هو أشد يوم رآته مصر في تاريخها القديم والحديث ، تملكها الجزع وتسيطر عليها الهلع واستولى عليها الفرع حتى لتوشك أفئدتها أن تنقطع وأكبادها أن تنفست وأرواحها أن تذهب ،

لقد كنا يامولاي نحن شريك الوفي نستمع إلى النبأ المحزون المؤلم فنرتاع
ونلتاع ويغشى علينا ، كنا في غمرة أو في سكرة نتطلع إلى القصر العامس
— قبلتنا ومهرى أفستنا — فاذا هو خلو من صاحبه وصاحبنا وسيدنا
وسيدنا ، ونبحث عن نورك الوضاء الألاء فاذا هو قد بعد عنا إلى الصحراء
أين أنت يامليكننا . أين أنت يا حبيبنا ، أين أنت يا فاروقنا ، أين أنت يا باعث
الآمل الباسم في نفوسنا وقلوبنا . لما قالوا جرححت جرحنا ولما قالوا صدمت
صدمنا ، كنا حيارى من الهم والغم ، لاندرى ماذا يدور من أجنابنا بل ماذا
يدور حولنا بل ماذا يدور في نفوسنا ، نسينا إخواننا وأخواتنا ، وآباءنا
وأمهاتنا ، وأطفالنا وأصدقائنا ، وأموالنا وأهلينا ، نسينا كل شيء إلا أنت
يامولاي ، اسمك الكريم يتردد على كل لسان ، صورتك المحبوبة ترسم في
كل جنان ، كنا عاجزين يامولاي عن كل شيء إلا الدموع الحارة نسكبها
والندعوات الطاهرة إلى الله نرفعها ، والتهافتات الداوية العنيفة تنطق بها
ألسنتنا وقلوبنا ، نأمل من صميم القلب أن نكون كلنا فداك ونرجو من
خالص الشواد أن تكون أرواحنا قرباناً لشفاك . الله وحده يعلم كم دعونا
را كعين ساجدين أن ينقذك بحياتنا وأن يشفيك بأرواحنا وأن يبعد عنك
السوء بدمائنا ، لقد جزعنا حتى أشفق منا وعلينا الجزع وفزعنا حتى نخشى
علينا ومنا الفرع ، مصر جميعاً من أقصاها إلى أدناها قلقة جازعة ، مضطربة
هالعة ، يشتد بها الألم فتتذكر رحمة الله وينتابها الجزع فتخرج ساجدة لله ،
ويستولى عليها الغم والهم فترفع بذلة وانكسار أكف الضراعة والابتهال
إلى الله كي يتم فضله بالشفاء والنجاة ، إن القلوب العائرة بالحب لتوشك
أن تنفد دقاتها . وإن العيون المملئة بالولاء والوفاء ليوشك أن يغيض ماء

نورها . فلا هذى تستطيع أن تفكر ولا تلك تستطيع أن تنظر وتبصر
لقد سرى النبا في القاهرة والأقاليم بسرعة البرق بل بأسرع من الأسماك
فامتلات المساجد بالمسلمين والكنائس بالمسيحيين والمعابد بالإسرائيليين ،
ولم يبق في القصور والدور والأكواخ إلا العجائز والمرضى والقواعد ،
وان تجد أحداً في تلك الساعة إلا ويهتف لك يامولاي ، وي يدعو لك
يامولاي ، وما أظن السماء إلا امتلات دعاء ورجاء ، واستجاب الله دعاء
هذه الأمة المسكينة فأحيها بك وشفاك لها واطف بك لطفاً كبيراً ، لقد
انطلق البشير يردد ألا خوف ولا هلع ولا اضطراب ولا جزع . لقد حفظ
الله لآمة فاروقها وأبقى لك كنانة مائكما ، هنا لك ثبتت القلوب بعد انقلاب ،
واطمأنت النفوس بعد اضطراب ، وعادت الأرواح بعد ذهاب ، شع في
الكون شعاع من السرور وشاع في الكنانة مصباح من النور . وعندئذ
سجدنا لله شاكرين له جل وعلا لطفه بك وبنا وعنايته بك وبنا ، ولو أنك
يامولاي شهدت منظر سجودنا وشكرنا ومبلغ حزننا وتأثرنا لعرفت أن
تلك المنزلة التي أنزلكها الله لم ينزلها أحد من قبلك وأن المكانة التي أحلك
الله إياها لم يحتلها أحد سواك ، ولو عرفت أية ليلة باتتها رعيتك وأية أحزان
عرفتها أمتك وأية آلام كابدها مصرك لعرفت أنك في هذه الأمة مكان
الإنسان من العين والسويداء من القلب والروح من الجسم . كانت ليستة
ليلاء ، لم تغن فيها لا التمرينات ولا الذشرات ، وكانت أحزاننا جنونية
لم تخففها لا التوكيدات ولا التأكيدات ، وكانت آلاماً هستيرية لم تزلها
خطب أو خطابات . بتنا والله يامولاي كاليتامى أصيبوا في عائلهم الوحيد ،
وكأنضجنا يا من الجنود العزل فجعوا في قائدهم المجيد ، لقد أوشكت أن تهديم آمالنا

وأن تهظم أعصابنا . وأن تمشم من الحزن والأسى قلوبنا وأفئدتنا ، تهتف
في أعماق الليل الساكن إلا من وجيب قلبنا فلا نجد من القوة ما نرد
به ذلك هتاف ، نهرخ وسط السكون الداجي الحزين مرة ثم لا نقوى
بعد ذلك على ترديد الصراخ ، نبكي سحر البكاء بأفئدتنا واحساساتنا ومشاعرنا
كل قطعة تنفتت من أفئدتنا لا تهتف حين تنفتت إلا حفظ الله الملك . وكل
قطعة تنقطع من نفوسنا لا تهتف حين تنقطع إلا رعى الله الملك ، وكل
روح من أرواحنا حين تصعد إلى خالقها البر بها الحنون عليها لا تهتف
حين تصعد إلا شفى الله الملك . نبكى وتبكي أطفالنا من حولنا حتى لينحط
بكاؤنا بيكائهم ويمتزج نشيجنا بنشيجهم ، وما أخالك يامولاي إلا رأيت
وسمعت ، تنتاب أجسامنا فشعريرة الموت فإذا ذكرنا لطف الله بك وعطفه
عليك سكنا وسكتنا ، ونضطرب اضطراب الذبيح فإذا تخيانا محبة الله لك
وحده عليك هدأنا واطمأنا ، ثم نرتاع ارتياح الحزين المحزون فإذا
تذكرنا إيمانك القوي ثبتنا ، ونلتاع التياح الخائف الوجل فإذا طاف بنا
طائف من ثباتك هدأنا ، نقوم ثم نهد ، نسير ثم نقف ، في حركات هستيرية
جنونية . تركت الأم وحيدها تلك الليلة وما فكرت فيه لأن كل تفكيرها
فيك يامولاي . ونسى الأب الشفيق أطفاله وآله لأن كل قلبه متجه إليك
في مكانك يامولاي ، بل نسي الشعب نفسه ليتذكرك ، وترك كل أمره لأنه
شغله أمرك ، وما فعل هؤلاء ما فعلوا لأنك الملك ، وما أظهر هؤلاء ذلك
الذي أدهش الدنيا بمن فيها وما فيها لأنك الملك ، ففي الدنيا ملوك كثيرون
ما نالوا بعض ما نلت ، وما رأوا معشار ما رأيت ، أنت الحبيب قبل أن
تكون الملك ، وأنت الطبيب قبل أن تكون الملك ، وأنت الولي الصديق

قل أن تكون الملك ، حبك قد صيغت منه نفوسهم ، وعشقك قد فطرت عليه قلوبهم ، حب فطري وعشق سرمدى لم يصغ من قبل إلا لك ولم يفطر شعب عليه إلا شعبك الوفى لك ، المخلص لعرشك . لقد كنت وما زلت يامولاي برأ بشعبك فليس عجباً إذن ألا يفكر فى هذه اللحظة الخرجة إلا فيك . وكنت وما زلت يامولاي أحنى الناس على رعيتك وأشفق الناس على أمثلك ، كنت للفقير صديقاً ، وكنت للمحروم معيناً ، وكنت للعامل المكثود مرفهاً وللفلأح المنهوك مواسياً .

كنت وما زلت يامولاي للكبير وللصغير وللوزير وللخفير وللأمير وللفقير الأب الشفيق والصديق الصدوق ، وكنت ما زلت يامولاي خير الملوك الصالحين ، وخليفة الخلفاء الراشدين . فهل من العجب إذن ألا يهدأ الكبير لأنك أصبت ولا يثب الصغير لأنك جرحت ولا يطمئن الوزير لأنك صدمت ولا يهنأ الخفير لأنك مرضت ولا يرى الراحة الأمير لأنك تألمت .

وكنت وما زلت يامولاي فى مرضك وفى صحتك وفى طفولتك وفى شبابتك . تمثل شعبك الوفى أصدق تمثيل ، أحبيته صادق الحب فأحبك ، وأخلصت له خالص الإخلاص فأخلص لك ، فأنت يامولاي للوطنية الصادقة رمزها العالى . وللقومىة الخالصة المخلصة عنوانها السامى ، ولمصر كاماً من منبع النيل إلى مصبه رمز أمانيتها وساميتها . أنت للشباب قوتهم وللشيوخ حكمتهم والأمة كلها ذخرها وخبرها وحصنها وركنها ، فهل من العجب إذن أن يخف الشباب بعرشك وأن يحتاط الشيوخ بتاجك وأن تكون الأمة كلها بك ومن أجلك جنود تضحية وفداء ورسلى محبة وولاء ،

ليس بين الوجود أمة يامولاي تؤمن بحب مليكها كما تؤمن بحبك ، وليس في الدنيا بأسرها شعب يخلص لمليكها كما يخلص لك ، تختلف أحزابنا وتتفق عندك . وتفرق طوائفنا وتجتمع في قصرك . وتتباين وجهات أنظارنا وتتفق على حبك ، وهذا الحب يامولاي حب ثابت لأنه عقيدة ، وهذا الإخلاص إخلاص قوى لأنه من عند الله .

وهذا الوقت يامولاي الذي يوشك أن ينتهي فيه هذا الصراع الخفيف ، نرى كل أمة تجمع صفوفها وترتب جندها وتداوى أمراضها ، استعداداً للفضال في سبيل المستقبل المرجو ، في هذا الوقت لا تفكر مصر — ثبت الله بالنصر عرشها وانصر بالوثام أيام شعبها — إلا فيما يعيد لها سابق عهدا الحفيد وليست ترى من طريق لتلك العودة إلا طريقك ، فأنت القوة التي بها تتقوى واليد التي بها تبطش ، والروح التي بها تحيا ، أنت يامولاي موئل هذه النهضة وباعت هذه الحركة ؟ والنجاح بعون الله مضمون لمصر مادامت يامولاي تحبونها بعطفك وتشملها برعايتك وتحيطها بعنايتك . لقد رأيت يامولاي كيف أن مكاناً شرف بك حيناً من الدهر ، كان من قبل مهجوراً مطعوراً فأحاله الحب إلى جنة من الجنان وروضة من الرياض ، حتى لقد حسدته عواصم الشرق والغرب وغبطته جنات السماء والأرض ، لقد أنزله الحب المصري منزلة شماء لم تصل إليها أية بقعة من بقاع الدنيا إلا كل بقعة نزلت فيها أو حلت بها .

وأهل هذا المكان يامولاي كانوا إخواننا في الدين وشركاءنا في الوطن وزملائنا في حب الفساروق ، كانوا أعراباً فغدوا أقطاباً ، وكانوا نجوماً ففساروا أقماراً ، كانوا قبل اليوم يحسدوننا فحسدناهم ويغبطوننا فغبطناهم ،

وكانت تلك الصحراء الجرداء القفراء مسرح حب من السماء . وكانت تلك
البلحاء الصفراء مهبط ولاء من واهب الولاء . أرأيت يا مولاي كيف
تغيرت القصاصين وتطورت ، لشد ما تغيرت وما تطورت ، كانت قرية
ناحية بعيدة صغيرة ، فغدت في يوم وليلة ، بل في ساعة أو بعض ساعة ،
ملتقى أفكار المحبين وجمع قلوب المصريين ، ومهوى أفئدة شعبك الوفي
الأمين . كانت قرية فغدت عاصمة ، كانت زاوية فأصبحت كعبة ، كانت
أسرة فأصبحت دولة ، بك أعزها الله كما أعزنا وبنورك الوضاء أضاء الله
قلوب أهلها كما أضاء قلوبنا . لقد كانت وكان يومها برهان الحب الساطع
ودليل الولاء القاطع ، عرفنا وعرف الناس كيف يكون الحب السماوي
والإخلاص الرباني وعلمت وعلمنا وعلمت الدنيا جميعاً أن مصر التي بنت
الآهرام ، والتي جعلت من الحجر أثراً قاوم الزمن وغالب الدهر وبقي على
طول العهد حديث الدنيا ومعجزة الفن قد جعلت من حادثة وقعت ومن
قرية نأت تاريخ حب لا يبلى وتمثال وفاء لا يزول ولا يفنى ، وأهرام ولاء
تغالب أهرام القدماء ، لقد كانت وستظل إلى الأبد تلك القرية أو تلك
المدينة عزيزة علينا وعلى الناس ، استقبلتك جريحاً وداوتك مريضاً وشرفت
بك ضيفاً جميلاً ، أحسنت استقبالك فأحسن الناس استقبالها ، وأخلصت في
مداواتك فأخلص الناس لها ، كانت خير دار إقامة لك يا مولاي جعناها
كعبتنا تحج إليها قلوبنا وتهوى إليها أفئدتنا .

يا يوم القصاصين : لقد كنت يوماً عبوساً قهطيراً ، ولكنك ستظل إلى
الأبد يوماً مضيئاً منيراً ، كنت يا يوم القصاصين محك اختبار وميدان ابتلاء
وكنت مسرحاً لشتى العواطف الجياشة الشائرة فلم يمر يوم مثلك تطلمعت

فيه قلوب خمسة وعشرين مليوناً من سكان مصر ، بل أربعائة مليون من مسلمى الدنيا إلى بقعة صغيرة من الأرض كان فيها أممهم ورجاءهم وحياتهم بل وكل شيء لديهم .

يايوم القصاصين : أيكفيك منا أن نتخذك عنواناً للمحب الفاروقى ، ودليلاً من أدلة الولاء المصرى ، أيكفيك أن يتخذك كل فرد منا أبرز يوم فى حياته ، وأظهر يوم فى تاريخه ، وبالرغم من كل ذلك لا نعطيك بعض ما تستحق يايوم القصاصين .

أى مليكى : يا زينة الدنيا وبهجتها ، يارمز مجد السكينة وعنوان نهضتها ، ياباعث الوطنية الصادقة وابن بجدتها ، عزمك الجبار قوام حياتها ، وروحك الوثابة سناد مستقبلها ، وخلقك النبيل ركن نهضتها ، أحيى بك الله الأمة المصرية بعدما تحالفت عليها الأيام ، وعادتها عوادي الآلام والأسقام والأوهام ، وانصر الله بإيمانك القوي دين الإسلام بعدما تخلى عنه الانصار والأبناء والخلان ، لقد استطعت يامولائى بإخلاصك المتين وخالقك العظيم وديمقراطيتك الفذة أن تعي شعباً وأن تبعث أمة . أما شبابك يامولائى ، جنودك أبناءك ، فمنذ أن أحييت بروحك الفتية أرواحهم وبهتت بنفسك القوية نفوسهم . وخالقت بعصرتك الخالصة مصرتهم ، وصفت من وطنيتك السامية وطنيتهم ، منذ مددت إليهم يدك القوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد مالك ، بل لأنها يد مصرى مؤمن بمصريته . وطنى صادق فى وطنيته ، منذ شاركهم فى شعورهم ، وزاملتهم فى أعيادهم ، وأحييت ميت العزائم فى نفوسهم وذاكرتهم فى قلوبهم ، منذ وجهتهم الوجهة التى أردتها لهم ، وهى وجهة الحمير يامولائى ، ومنذ جمعتهم على

الوطنية الصادقة التي بهشتها فيهم وهي أشرف وطنية يامولاي : منذ وجدت
كلتهم على وجوب الفناء في سبيل مصر ، منذ حركات يأس نفوسهم إلى أمل
تحقيق : ومنذ صيرت ضعفهم قوة صادقة ، منذ ذلك اليوم الذي دعوتهم فيه
يوم عدت من أوروبا ، ومنذ ذلك الوقت الذي هيأت لهم فيه ظروف العمل
لخدمة الوطن ، خلّقوا يامولاي خلتماً جديداً ، وصوروا يامولاي تصويراً
حديثاً وهبوا أرواحهم للعرش وللوطن ، وباعوا لله أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون فيقتلون في سبيل الله ، جعل الله بك وبهم هذا العصر
عصر نهوض وارتقاء ، وجعل بقوتك وقوتهم هذا العهد عهد عزيمة ومضاء ،
وجعل مصر قوية بك وبشبابك ، عزيزة بك وبجنودك ، منيعة بجهودك
وجهد أبنائك .

ومصر يامولاي : مصر العظمى . مصر الخالدة . مصر أستاذة الدنيا
ومعللة الشعوب . مصر عروس الشرق والغرب ، لأن كانت قد تأخرت
عن ركاب الأمم العظمى أمداً من الآماد . وتخلّفت عن قافلة الدول الكبرى
حقبة من الأحقاب وتوانت عن أداء رسالتها السابقة نحو الإنسانية والمدنية
مدة من الزمان ، ولئن كان قد قدر لها أن تمشي في الخلف ومن عاداتها السابق
وأن تتهن كرامتها ، ومن طبعها المحافظة على كرامة غيرها وأن تتكاسل
وتتراكل عن بلوغ غايتها في الزعامة . ومنزلتها في القيادة ، فسوف يعود
لها بك وبجنودك ما كان لها أيام رمسيس وتحتمس وصالح الدين وسوف
تسير بعناية الله العليّ القدير في المقدمة كما كانت وسوف تكون حامية الأمم
الضعيفة كما ينبغي أن تكون ، سنشئها يامولاي حرباً شهوا على الفقر والجهل
والمرض ذلك الثالث النجس الذي أوشك أن يقضي على آمالنا في بدايتها ،

وسوف نتخلص من الإثارة الطاغية والأناية الباغية ، وسوف نستفيد من
أخطاء الماضي ، وسوف نمضي في سبيل المستقبل قدماً لانهاب أمم ولا دولاً
وسوف نرسم دائماً يامولاي خطاك سائرين وفق رأيك ومبتناك ، وسوف
نبذل كل جهودنا ، وأرواحنا وأموالنا . حتى تكون مصر كيامولاي مصر
العظمى ونيلك - يا أبا النيل - النيل الأعظم ، ويكون شعبك شعب الله المختار .
لقد تفتحت عيون شعبك يامولاي على الحقائق فعرفها حق المعرفة
ودرسها حق الدراسة فإن يكون هناك في المستقبل تهاون أوتوان أوتكامل
أوتواكل . الحقوق المقدسة كلها دفعة واحدة ، الأمانى القومية تحقيقها كلها
دفعة واحدة ، الاستقلال الناقص لم يعد يرضينا ، الحرية المزيقة لم تعد
تغدينا ، الأمانى القومية المقسمة لم تعد تلائمنا ، هدف الجميع هو الاستقلال
الصحيح للوادي من خط الاستواء حتى الإسكندرية ، كل شعب يتقصد
سناخذه بدمائنا وأرواحنا ، وكل حق يقسط لابد من أخذه كاملاً ولو بالقوة
إنك ويمين الله يامولاي لأول مدافع عن الوطن وأول مجاهد في سبيل
اتحاد الوادي ، فإذا ما أمل شبابك الخير على يدك فلن ينالوا ولن ينال
الوطن إلا كل خير .

إنك ويمين الله يامولاي لأسعد ملك في هذه الدنيا فما انعقد ملك غيرك
من قبل هذا الحب ، وما خلق لشخص مثلك هذا الإخلاص ، آمنت بمجد
مصر فأمنوا . وأخلصت لقضية مصر فأخلصوا ، وانتويت أن تجعل من
الكنانة دولة التاريخ التي لا تبارى وكذلك انتووا ، وسعيت لكي تضم شمل
الوادي وكذلك سعوا ، ووهبت لمصر كل حياتك وشبابك وكل قوتك
وكذلك وهبوا ، أفبعد كل ذلك يامولاي لا تطمع في أن تكون مصر العظمى

لا ثقة بإخلاصك وإخلاصنا لك ولها . وأن يكون النيل العظيم جسدي
بمحبتك له ومحبتنا له ولك .

والله يا مولاي ما وجد شعب مثل شعبك على رأسه فاروق مثلك إلا
كتب الله له الرقي والرفعة وقدر له النجاح والفلاح . يمكنك يا مولاي أن
تقرأ بشار الرقي والرفعة في عيني كل فرد من أفراد رعيتك ويمكنك يا مولاي
أن تلمع بوادى النجاح والفلاح على وجه كل مصرى من أبناء مصرك .
ويمكنك أن تجمد أسس هذا المجد مزروعة في قلوب شبابك .

يا مليكى : عرشك فى الحنايا ، تاجك فى القلوب . إن كنت سواعدنا
عن حمله حملته أفئدتنا ، وإن لم تستطع أكتافنا رفعه رفعتة هاماتنا .

يا مليكى : أيا أمل الشباب ويا ذخره . ويا مستقبل النيل ويا فخره ،
ويا راعى الرادى وحاميه ، ويا رمز آماله وأمانيه .

يا مليكى : يا من اختارك الله لنصرة دينه ورفعة كنانته ، يا من حباك الله
بفضله وعنايته ، وشمالك فى كل أدوار حياتك بعظمه ورعايته ، يا من ملكك
الله مفتاح القلوب ، يا من أعطاه الله قدرة الاستيلاء على النفوس ، أرواحنا
مستأفة للفداء ، أفئدتنا تواقدة للتضحية ، عزائمنا حرفة للجهاد .

يا مولاي : يا موئل الدنيا ووجهتها ، يا فخر الكنانة ويا رمز عظمتها ،
يا من من الملا الأعلى رسالته ، يا رجاء الوادى ويا أمله ، ويا حصن النيل
ويا ركنه ، يا حلم المجد العبد ، يا محقق الأمل المجيد ، يا روح مصر ويا رأس
الشرق ويا فخر الدنيا يا مليكننا يا فاروق . كل أعمالك تنطق بالوطنية السامية
وكل آثارك تعبر عنصرية فائقة ، لقد قواك الله بروح من عنده فكانت
كل أفعالك أسيرة للقلوب ، مسيطرة على النفوس .

لم أبجد ولم يجد أحد غيري ملكاً ضحى بحياته في سبيل أمته مثل ما ضحيت
وبذل مثل هذه الجهود الجبارة من أجل رفعة شعبه كما بذلت ، ومع كل هذه
التضحيات يا مولاي أبيت إلا أن تزيل كل حاجز بين العرش والأمة . قضيت
يا مولاي عيد ميلادك بين أفراد رعيتك المرضى الجياع تداويهم وتخفف
عنهم وتأخذ بأيديهم إلى حيث السعادة ، طرقت الأكواخ ودخلت دور
الفقراء والمحتاجين أو قبورهم ، مواسياً ومخففاً ومداوياً ، أكلت مما يأكلون ،
وشربت مما يشربون وحملت لهم الصحة والعافية فصاروا أسعد الناس بك
وأصبح الناس برؤية ونجحك الواضح وأبيت إلا أن تقضى يوم ذكرى توليتك
سلطتك الدستورية بين أربعين ألف عامل من عمال شعبك المكسودين
ترفع عن المحتاجين منهم وتمد يد العون إلى البائسين منهم وتتفضل كهاتك
دائماً يا مولاي فتشجع كل عامل وتتخذ ذكرى كل وطني مخلص .

فلما كان شهر رمضان المعظم فتحت أبواب قصرك لأبناء شعبك
وضربت أكبر مثل الديمقراطية وبرهنت للدنيا بأسرها أنك الفاروق الذي
حفظه الله لاسكتانة لكي يسترد مجدها وللدن الخفيف كي يعلى شأنه .

أما أنا يا مولاي فشباب من شبابك وجندي من جنودك آمنت بمجد الوطن
إيماناً خالصاً وبعثت لله وللوطن الغالي نفسي ومالي وحياتي وشبابي وكل دقيقة
أعيشها فيها بل وكل ثانية تمر على . وهبت نفسي للوطن . لمصر . للفاروق .
كل نفس من أنفاسي لا يخرج إلا متجهاً نحو مصلحة الوطن وكل جارحة من
جوارحي لا تسعى إلا لخدمة الوطن بل وكل خاطرة من خواطري لا تكون
إلا للعمل على رفعة الوطن .

أنا يا مولاي مدني للوطن بكل حياتي ، وأنا ساع منذ خلقتني الله في هذه

الدينيا اذا هذا الدين بكل ما في طاقتي من حول وطول ، ولست أنا وحدي
يامولاي هكذا بل أنا أقل شبابك الخالص وطنية وإقداماً وتضحية وفداء .
كلنا جميعاً يامولاي خدام الوطن وسدنة العرش قد وضعت الأقدار على
أكتافنا عبء تجديد كيان هذا الوطن ، فعما قريب يامولاي ستضع الحرب
أوزارها ويتخلص الناس من أضرارها وأضرارها وسوف تجد منا جنوداً
للسلم يستنيرون بثاقب رأيك ويسرون وفق رغبتك ، ويحققون كل أمالك
وأمانيك : سوف نسمى يامولاي جميعاً لنعز كلمة الدين ولننصر كتاب الله
ولنحقق وحدة النيل ، ونحن وإن كنا يامولاي عزل إلا من الإيمان بالله
فقراء إلا من الإخلاص للوطن ، ضعفاء إلا من معونتك فإن ما انطلوت عليه
قلوبنا من ولاء للعرش وتفان في الدين وتهاقت على التضحية في سبيل نصرة
الوطن ما يقوى همنا ويشجذ عزائمتنا ويجعلنا رابطي الجأش أقوياء الممهم
في سبيل تحقيق المثل العليا التي تدين بها .

يامولاي : كتبت كتابي هذا وما بي حاجة إلى القول بأنه كان وحي
الحادث ، حاولت أن أسجل فيه هذا اليوم التاريخي وغيره من الأيام
الفاروقيات الحوادث فكتبت ما كتبت ووصفت ما وصفت ثم تعبت ما تعبت
لأنني حاولت أن أحلل حب شعبك لك فما نجحت في محاولتي وقد وجدت
نفسى يامولاي أخيراً عاجزاً ومتمصراً عن إيفاء هذه الأيام حقها ولا أكتملك
يامولاي أن قصوري في تأويل ما رأيت وتصوير ما شاهدت جعلني لا أجرو
على رفع كتابي هذا . وأخيراً قيل لي إن أي كاتب مهما بلغت قدرته وأي عظيم
مهما كانت عظمتة ، وأي بليغ مهما كانت بلاغته لا يستطيع أن يصور تلك
العواطف الجياشة والإحساسات النبيلة مهما بذل من جهده وما أنفق من

وقت ، لقد استعنت شعوراً منى بالمعجز بكتابات الرعماء والقادة والمفكرين من الصحفيين والكتاب وقد استكتبت بعض الشخصيات البارزة في المجتمع المصري الشرقي كي أسد هذا النقص في كتابي الذي شعرت به ولمسته فعساي أكون قد وفقت وعساهم يكونون قد وفقوا ، ما تحدثت يامولاي مع واحد منهم في هذا الموضوع إلا ووجدت حرارة الإخلاص ينطق بها لسانه ويدق بها جنانته فأيقنت أن هذا الحب هبة من الله قد وهبها لك وإن هذا الإخلاص هدية من الرحمو قد أهداها لشخصك .

وأخيراً يامولاي لا آخر لا أدري ماذا أقول لك وماذا أقول فيك ، أقول قد رفعك الله والله قد رفعك . أم أقول نور الله قلبك بالإيمان الصادق . فالله قد نوره ونورك أم أقول جمالك الله بالوطنية الصادقة . فالله قد جمالك أم أقول طهرك الله بالتقوى الحقة . فالله قد طهرك أم أقول حبب الله فيك قلوب رعاياك . فالله قد حببك . ولكن ما بقي لي إلا الدعاء أن ينسئ الله في أجلك وأن يجعلنا من أنسوء فداك وأن يهيك لك الكنانة الروح الملمهم للمجد واليد الفعالة في سبيل العظمة والرقى .

أييد الله يامولاي بالتوفيق مسعاك وحقق بالنجاح أملك ومبتغاك وثبت بالإيمان والإخلاص تاجك وجعل عمرك السعيد الوضاء أعظم عهد شهده مصر في تاريخها القديم والحديث وأمدك وأمد شعبك بروح من عنده حتى تتم ما بدأه المتصور له والدك العظيم وجدك الكبير .

لهزم الله يامولاي أيامك وجعلك من عباده الصالحين إنه سميع قريب .

١٣ نوفمبر

احتفلات البلاد من أقصاها إلى أقصاها بيوم ١٣ نوفمبر احتفالاً لم تشهد مصر من قبل إذ اشتركت جميع الهيئات السياسية والاجتماعية والأدبية في هذا الاحتفال اشتراكاً قومياً دل على تغلغل الروح القومية في النفوس ، وهب الشعب وقد قويت عزيمته واشتدت في سبيل الاستقلال الصحيح والحرية التامة وغبته ومشيمته . وتناقت الرفعفة نفسه وأعد للجهد الأكبر عدته وللكفاح الشاق أهبطه . لقد كان هذا الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩٤٣ شهيراً بنيله في سنة ١٩١٨ سعى الزعماء على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ليحققوا فيه آمالهم ، ولينالوا من المجد والخلد ما ناله ثلاثة من قبلهم ، سمعنا خطاباً طويلاً عريضة وآمالاً سامية عالية وخطوطاً مختلفة متباينة ، ووعوداً حلوة عذبة ، ورغم الاختلاف في الخطط والتباين في وجهات النظر فإن إجماعاً كاملاً شاملاً انعقد على رأى واحد واتفق على موضوع واحد هو التعاق بالفاروق والتغنى بمآثر الفاروق والانتخاب بالولاء والوفاء الصادرين للفاروق من الشعب ومن الشعب للفاروق .

ويأتى يوم ١٣ نوفمبر إلا أن يكون يوماً شعبياً . يشترك فيه الشعب والتاج والحكومة فيحتفل الشعب به الاحتفال الباهر ، ويرسل الملك حفظه الله إلى خيرى الزعيمين سعد وشعراوى من يضع الورود والرياحين وإلى بيت الزعيم عبد العزيز فهمى أطال الله حياته من يزوره ويهنئه ، ويأتى هذا اليوم الآخر أن يكون يوم الجهاد فى متمر غضب بل يوم الجهاد فى لبنان

بل يوم الجهاد في الشرق إذ تعدى ثلثة كانت لأمته من قبل قوة وسلطة على
شعب كان من قبل محتلاً وأضحى اليوم حراً طليقاً . وبالرغم من أن الأخير
كان ضعيفاً إلا عن إيمانه أعزل إلا من إتحاده فقيراً إلا من أبطاله . وبالرغم
من أن بعض المتشائمين قد حفرُوا لهذا الشعب الصغير قبره . وأعدوا له
كفنه إذ قامت فرنسا الكبرى تعلن الحرب على لبنان الصغيرى . وإذا يحتاج
السنغاليون الأذلاء مدن لبنان العزلاء . وإذا يتسخطض الفن الحربى الحديث
بدباباته وطائراته ومدمراته وغواصاته عن مبادئ جديدة قديمة حسب
الناس أنها قد استودعت دار الآثار وخشى البعض من دعاة التردد والهمهمة
من هذه القوة الغاشمة فرددوا كلمات الاستسلام والخضوع . وإذا بالفاروق
العظيم يقذف قنبلاته الداوية فيرتج لها العالم . ويرسل المليك سيحته القوية
فيحملها الأثير إلى ربا لبنان وإلى تخوم لبنان ويبعث بتهديده إلى من يستحق
التهديد ووعيده إلى من يستأهل الوعيد فترتجف عزائمه وتخور قواه ويحاول
الرجوع عن مقصده . هنالك ينقلب اليأس رجاء . والآنخذال نجاحاً ،
والاستسلام انتصاراً وفلاحاً تشجع اليائسون وتقدم المترددون فاندجحت
مصر في لبنان ولبنان في مصر عيدنا عيدهم ، جهادنا جهادهم ، فاروقنا فاروقهم
هم لنا ونحن لهم . هم منا ونحن منهم . ودافع لبنان الصغير الأعزل عن حريته
دفاعاً قوياً جبّاراً قابل الشيرات فما ضئف وما استكان ، جابه الدبابات
والطائرات بالجرأة والثبات وهتف اللبنانيون الأعزاء في كفاحهم . باسمين
اثنين الفاروق ولبنان ورفعوا في جهادهم علمين اثنين علم مصر وعلم لبنان .
كانت هناك في لبنان ثورة من أجل لبنان وهنا في مصر أيضاً ثورة من أجل
لبنان . كان هناك كفاح وجهاد ونضال وجلاءد وكان هنا أيضاً نضال وجهاد

وكفاح وجهلاد ، أريقت هناك دماء ، وأريقت هنا أيضاً دماء ، كانت في مصر ثورة من أجل لبنان كان الفاروق قائدها ، وكانت في مصر قومة وكان الفاروق صاحبها ، وكانت في مصر غنصبة وكان الفاروق باعها ، هذا في مصر وفي لبنان ، أما في غير مصر وغير لبنان ، في شتى البلدان العربية صدى لما في مصر وما في لبنان ، هناك غنصبات وحركات تريد لما في مصر وما في لبنان ، هناك وهنا وهناك ولد جنين عريق ، بدأ يتحرك ، وظهر هلال جميل بدأ يكتمل ، وإذا أورشك الأمل الحلو في الوحدة العربية أن يتحقق بمحولة الفاروق ، الفاروق قائدها ورائدها ، والفاروق مشجعها ومعندها ، الدنيا كلها تتطلع إليه كباعث للنهضة ، ورومن للوحدة ، وافقت القلوب والافئدة على زعامة الفاروق للعروبة ، كل من في الشرق والغرب يرتو إليه ، كل من في الوجود يتطلع إليه ، الدنيا بأسرها تتحدث عنه ، إنه للقائد نعم القائد ، والزعيم نعم الزعيم ، ويوشك الحلم الجميل أن يتحقق والامل الحلو أن ينفذ لولا أنه :

« حدث في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم (١٥ نوفمبر) في طريق الإسماعيلية قرب القصاصين أن اصطدمت سيارة حفصة صاحب الجلالة الملك بسيارة نقل ، وقد أجريت الإسعافات اللازمة لجلالته في أحد مستشفيات الجيش البريطاني ، وتبين بعد عمل الأشعة أنه يوجد شرج بسيط حر الى السنتيمتر بالحرقة اليسرى مع رضوض بسيطة ، والحالة العامة جيدة ، والنفض والحرارة طبيعيان ، وقد وافق الأطباء على أن ينتقل جلالته إلى قصر عابدين غداً صباحاً » .

كيف وقع الحادث ؟ أين رحمة الله بالفاروق وبنا ؟ أين لطف الله به

وبنا ؟ يا لهول الفاجعة ويا لعظم المصائب . ما صدقنا والله الخبر ، فرحة الله الشاملة الكاملة ، الواسعة الجامعة ، تأتي أن تفجع ملايين عديدة من النفوس المزمنة في أعز عزيز لديهم ، وأثنى شيء عندهم وأقرب الناس إلى قلوبهم ، داخلنا اليأس والشك ثم عاد لنا اليقين والأمل فأنقذنا من موت محقق وحزن وأسى أليم . لقد أراد الله لقلوبنا الآمنة المطمئنة أن تجزع فجزعنا أشد جزع . . . ولنفوسنا الفرحة المرححة أن تبحزن فبحزننا أكبر حزن . لقد كان العمال المصريون الذين يشتغلون في القصاصيين هم أول من علموا النبأ ، فهرعوا فرعين جزعين ليروا جليلة الأمر ، ولم يكونوا يعرفون أن الحادث لجلالته ، لحبيبتهم ومليستهم الفاروق وإلا لما استطاعوا المسير إليه ، والإسراع لنجدته ، لقد انخلعت قلوبهم واقشعرت نفوسهم ، فاندفعوا بهاتف من نفوسهم الحية وضمائرهم النقية . فلما رأوا أن المصائب طببتهم وحبيبتهم ، غشيتهم سخابة من الغم المفاجيء والأسى السريع ما جعل القوى الجلاء منهم يغشى عليه ، والرابط الجأش يفقد الوعي ، تحمل من تحمل ، وضعف من ضعف . وسقط من سقط . كان الجميع كأن على رؤسهم الطير ، فهم ولا شك المصابون . لقد كانت أول كلمة نطق بها الفاروق « يا رب » « الحمد لله » وكان جلالته كعهد الناس به دائماً العظوف الشفوق ، حتى في أشد الظروف وأحرج الأزمات . لقد سأل أول ما سأل عن معه ، فكان حقاً هو الفاروق . وتكاثر العمال وكأهم يريد لو يستطيع شفاهه بحياته ، وحمل إلى حجرة العمليات فأدهش أطباءه بقوة تحمله وتحمله . وبروحه الفتيمة التي لا تهتز للمصائب مهما كانت ، ولا تضعف أمام الكوارث مهما تكن . كان والله يتسم لقضاء الله وقدره ،

وبشير على الأطباء بما يجب عمله . لقد كانوا هم المرضى وكان هو الطبيب ،
وتلك سمة من سمات الرجال الأقوياء . . .

وطير الخبر إلى المديرية ثم إلى الوزارة ، ثم إلى السراى ثم إلى الأمة
جميعاً ، وحضر على جناح السرعة محمود بك عبد الرحمن مدير الشرقية حينئذ
وحكمدارها ، ثم وزير الداخلية ، وكانت ديمقراطية الجزع والفرع بادية
عنى الجميع : كلهم مطاطىء الرأس مبالل الفكر ، غير متأسك البليات ،
وامتلات المستشفى التى غدت منذ تلك اللحظة سرراى ، وأصبحت فى تلك
الساعة كعبة وعاصمة ، امتلات بوفود لاهصر لما ولا عدد ، وكان فى
مقدمتهم أحمد حسنين باشا - رجل الوفاء - والدكتور على إبراهيم باشا
- رجل الطب - ، والدكارة : الكفراوى ، والنقيب . وكامل حسين ،
أطباء الملك ، وهات وفود الشعب من كل حدب وصوب ، وحاول بعض
أولى الأمر أن يبعدوا تلك الحشود عن المستشفى من أجل راحة الملك ،
وأقسم الجميع أنهم لن يبرحوا هذا المكان حتى راو على أسنة الخراب .
وأجاب بعضهم : « ماذا تريدون يا أولى الأمر منا . . . سنقف إلى ما شاء
الله كأن على رؤسنا الطير . لن نسمعوا منا إلا دقائق قلوبنا الجزعة
القيئة . وان تروا إلا دموعنا المتدفقة المنهرة ، أتلثون بنا البلاهة إلى
هذه الدرجة ! أعود إلى منازلنا وترك منزلاً به الفاروق مصاباً ! والله
لن يكون ذلك . إنا جرحى ونحتاج إلى العلاج ، إنا قد صدمنا وفى حاجة
مامة إلى إجراء العمليات . دعونا يا مائة تقف بجوار المستشفى فكلنا فى
حبه يا أولى الأمر سواء بسواء . » وغلب منطقهم منطق أولى الأمر ،
فتركوهم تطلق قلوبهم لا ألسنتهم بالهتاف ونجار بالثناء . فقد جشوا على

وكمهم ، على و مال الصحراء يدعون الله أن يشفي لهم فاروقهم . وأن يشفي لهم
مليكمهم . ويخرج بعض الأطباء ورجال السراى ليطلبمشوا الشعب
القاتل الجزع . . .

لقد رغب الفاروق ألا يذاع الخبر حتى لا ينال شعبه الوفا من الخوف
على صحته و الأرتاج على حياته ما يناله ، ما أبر الفاروق بشعبه ، و ما أوفى
الشعب لفاروقه . وكم الخبير وقتاً ما ، ولسكن التسلوب المستأنة بالخبر
ما كانت تستحق حب الفاروق ووفاءه . لو لم تعلم من تلقاء نفسها حقيقة
الامر ، لقد علمته بفطرتها . . .

اجتمع في القاهرة من اجتماع ، و احتشد في عابدين من احتشد ، تفتت
أعينهم بالدمع ألا يجدوا ما يصنعون به لينقذوا حياة مليكمهم و لو بحياتهم .
لقد دعوا واستجاب الله دعاءهم .

الخبر ينتشر

وكانت رجال القصر أول من علموا بالنبا ، ورجال القصر هم أشد الناس حبا للملك ، ومن أقرب الناس وفاء للملك . وأكثر الناس تقانيا في خدمة الملك ، وأعظم الناس حبا للملك ، وليس ذلك واجعا لأنهم موثقي القصر . أن أبناء القصر ، بل لأنهم أولا وقبل كل شيء مصريون وطنيون فارقون . لقد تلقى زعيمهم أحمد حسين باشا رجل الإخلاص النبا وكان في داره . وإذا به من التليفون يدق ويبلغه محدثه بالإنجليزية أن الملك أصيب في حادث اصطدام ونقل إلى المستشفى بالخصاصين :

« كانت دمرت ساعات رهيبة في حياتي ، ضللت الطريق . وسقطت ساعة في عدة مرات ، ولكنني أستطيع أن أقول لك : إن هذه الساعة الهيبة التي أمضيتها في طريق إلى الملك هي أروع ساعة من ساعات حياتي . وزادت رهيبة عندما وصلت إلى المستشفى ، وسألت عن الملك . فقيل : إنه في غرفة العمليات . عندما كادت تغور قواي . ولكنني لم ألبث أن رأيت جلالته خارجا من غرفة الأشعة وهو يضحك ، والطبيب الإنجليزي يقول : لا شيء خطير . . . وعندما فقط تنفست السعداء . »

وقال علي إبراهيم باشا ، رجل الطب والوفاء :

إن الساعتي اللتين قمتا هما هو والدكتور كامل حسين بك في طريقهما إلى القصاصين كانت من أشد ساعات حياتي . . .

وقال الدكتور الكفراوي بك :

« إن أخرج ساعة في حياتي ساعة أنت عرفت بحادث المليان . فليقد

جاءت إلى داري سيارة ملكية صحتني إلى دار معالي حسين باشا . تم
تحرّكت السيارة مدة ساعتين لم نتجاذب فيها أية كلمة ، وفي المستشفى سمعت
جلالة الملك يضحك فاطماً نلت ، وعندئذ فقط تذكرت أني أحيي لم حسين
باشا شفيعته

وقالت حرم الفريق عمر فتحى باشا :

« كانت صدمة عنيفة لشعورى لم أستطع معها امتلاك حواشى ، وبكى
أن أقول لك : إننى كلما قرأت أخبار الملك فى الصحف بكيت ، وكلما سمعت
هتاف شعبه بحياته بكيت ، وكلما سألنى أحد عن صحته بكيت ، وكلما
تذكرت أن جلالة نائم فى سريره يتألم بكيت ، بكيت فى يوم واحد
أكثر من عشر مرات »

الحادث كما يروي أول من شاهده

محمود عبد الرحمن بك مدير الشرقية السابق

كان ذلك حوالى الخامسة مساء من يوم ١٥ / ١١ / ١٩٤٣ ، وكنت
متأهباً لمبارحة منزلى إلى نادى فاروق الأول الرياضى وإذا بالتليفون يدق
وإذا بالمتكلم مأمور مركز أبو حماد يخبرنى بأن جلالة الملك أصيب من
حادث اصطدام سيارة جلالة بسيارة للجيش الإنجليزى وأن جلالة نقل
إلى مستشفى القصاصين نمرة ٦ فسألته من أين علم بذلك ، قال أخبرنى أحد
العمال بالحادث فلم أتأكد من صحته لكننى بادرت إلى سيارتى بعد أن أخطرت
الحكمدار بأن يحضر إلى دون أن أذكر له السبب وكان هو أيضاً مستعداً
للخروج معى حيث كنت ذاهباً من قبل لجماعى بعد خمس دقائق وأنا واقف

العجلة من ثانية إلى ثانية وانطلقت بنا السيارة حتى مررنا بمنزل مأمور المركز (مركز أبو حماد) فأوقفت السيارة وكلفت الحسكمدار أن يرسل منه إشارة تليفونية لحضرتي مفتش الصحة وحكيمباشي المستشفى بتبليغتهما بأن المدير مصاب إصابة خطيرة في القصاصين ليحضرا على الفور فيكونا في خدمة مولانا وقصدت من ذلك إلى أمرين : —

الأول — عدم إذاعة خبر لست متأكداً منه ولا علماً بدرجة خطورته .
والثاني — أن يكون من رجالنا من يقدم خدماته الطبية ، إن كان ثمة حاجة وكلفت في نفس الوقت مأمور المركز باستدعاء حرس من رجال الحدود كل ذلك تم في سرعة لا يمكن تصورها ، وواصلنا سيرنا فبلغنا مستشفى القصاصين حوالي الساعة الخامسة والنصف أي أننا كنا نسير بسرعة ١٢٠ كيلو متراً في الساعة وأخذنا نتلمس مكان الملك وكل يردنا من مكان إلى مكان حتى بلغنا مكان حجرة العمليات . وعندها اعترضنا مدير المستشفى وهو ضابط انجليزى برتبة القائم مقام وكان اهتمامه بالحالة ظاهراً فقلت له أنا المدير . أجاب أعرف ذلك ولكن لا سبيل إلى الدخول ومستحيل الاتصال بالملك فقلت له لا مستحيل الساعة واغتصبت طريقى ومعى الحسكمدار حتى كنت على باب حجرة العمليات والضابط الانجليزى يتبعنى فى دهشة وعدم ارتياح حتى تم كشف الأشعة وأنا واقف بالباب ، وخرج مولاي على الحاملة (النقالة) فقدمت نفسها إلى جلالتـه ومد يده الكريمة فتناولتها وقبلتها فى لطفة وحرارة ولم أره جزعاً ولا متخاذلاً ، فارتد إلى الاطمئنان وقلت على الفور : سليمة يا مولاي ، قال : « سليمة والحمد لله لا شىء يؤلمنى سوى هذه الناحية » وأشار حفظه الله ، إلى مكان الشرخ وعاد الكلام

« ولكن لا خطر » خمدت الله وظلمت ممسكا بيده السكرينة أتطلع في كل وجهه وقد شملته الطمأنينة بل الثقة كل الثقة في وجه الله الكريم حتى ظهر أحد خدمه من أصيبروا في الحادث فسحب جلالته يده ليربت بها على ذلك الجريح ويسأله في اهتمام واضح « كيف حالك - كيف أنت؟ » ونسى المليك جرحه وذكر جرح الآخر . ثم نقل جلالته إلى قسم (عنبر) أعده رجال المستشفى لجلالته وعندما وصل جلالته إليه وجد حرساً من رجال الحدود البرانس على الباب وحول العنبر وقبل مبارحة جلالته قسم العمليات أخذ يسألني في لطف خصه الله به جملة أسئلة عن كيفية علمي وكيفية وصولي وقد ظن جلالته بادئ الأمر أنني كنت بجواره أو قريباً منه عند وقوع الحادث ولعل مراد هذا الظن سرعة الوصول . أما الخبر فقد أخذ ينتقل بسرعة البرق مبالغاً فيه واشتلات مستشفى القصاصين بعد رجال القصر والأطباء المعالجين بكبار المصريين ولم يذق أحد منا طعم النوم وإن كانت رجال المستشفى جزاهم الله خير الجزاء قد جهسوا أنفسهم لإعداد ما في الطوق من رسائل راحة الجميع .

والله في هذا الحادث أن جلالة الملك كان فيه من ناحية نفسيته كأنه بغير حادث وكان دقيقاً في الاستعلام عن كل شخص وعن كل شيء حتى عن كل منا وطريقة نومه وراحته . وقد ساهم في راحة الجميع مدير السكة الحديد رجل العمل والنشاط « محمود باشا شاكر » ومدت أسلاك التليفون بسرعة البرق وأعد صالون بمحطة القصاصين كما أعد عربة أكل فاخرة بأمر جلالته الملك يتناول فيها المسافرون ما شاءوا على حساب جلالته

بين آخر اد الشعب

لقد كانت درجة الجزع والخلع متساوية لا يستطيع أى إنسان أن يقول أنه تألم أكثر من الآخر ، ولا أنه انزعج أكثر من الآخر ، كلهم فى الألم والأمل سواء . لقد كانت مصر جميعاً تتصور الحادث الخطر فتجسد نفسها وقد فقدت تماسكها ونخارت قواها ثم يعود إليها رشدها فتتذكر لطف الله بفاروقها فتحمده ألف حمد وتشكره ألف شكر ، وأصبحنا ذات يوم وإذا الأجسام هزيلة لظول ماسهرت والنفوس عليلة لشدة ما جرعت والأفئدة كليلة من كثرة ما اضطربت . اسم الفاروق يتردد على كل لسان ، والدعاء له مقروء على كل شفة ، إذا قام المصريون من نومهم قالوا الفاروق . وإذا ذهبوا إلى مساجدهم وكنائسهم وبيعهم كان دعائهم للفاروق . وإذا تحدثوا وقلما كانوا يستطيعون الحديث ، كان حديثهم جرح الفاروق . وإذا تمنوا أو أملوا ، كانت أمنيتهم وكان أملهم شفاء الفاروق . فى البيت فى الشارع ، فى المصنع فى المتجر ، فى الجامعة فى المدرسة ، فى الترام ، فى القطار ، بل فى كل مكان لا نسمع إلا هتافاً ساراً ينطلق ، وأدعية طاهرة بريئة تتصاعد ، ونفوساً آمنة تحترق ، وقلوباً طاهرة زكية تذوب من الأسى والحزن . وأصبحنا ذات صباح فإذا القصر العامر تتدفق إليه من طرقه المختلفة الشديدة جموع محتشدة وكتل بشرية متجمعة حجبته السماء عن الأرض والأرض عن السماء ، وفوق هؤلاء وأولاء أرواح تصعد ، وألسنة تشق عنان السماء تهتف للفاروق معقد آمالها ، ورمز أمانها ، هتافات لم تسمعها السماء من قبل لقوتها وشدها ، ودعوات لم تصعد من الأرض من قبل

لطهارتها وزكاوتها ، وهنا وهناك وفي بعض الأماكن هتافات لم تسمع
ودعوات لم تلق مقاومة وهي في طريقها إلى السماء ، حارة صادقة كدعاء
الملائكة إلا أنها بمنزلة الدموع ، وكم هتافات الأولياء إلا أنها محتلطة
بذائب القلوب ، الأبصار كلها متجهة إلى القصر ، والأعناق كلها مشرّبة نحو
شرفات القصر ، والقلوب كلها محلقة حول القصر ، وما أخال القصر إلا جزع
من تلك الأبصار الزائفة التي تتجه إليه في قلق واضطراب ، والأعناق
المتخاذلة التي تلتفت إليه في جزع وهلع ، ولكن الفاروق ، ليس في القصر
يطل من شرفته المحبوبة على شعبه المحترق شوقاً لرؤيته ، الجزع قلقاً على
صحته ، ولكن الفاروق ليس في القصر يحيي بيديه الكريمتين أمته ، فيحيي
موات الآمال في قلوبها وينعش فواتر الهمم في نفوسها ، تتسمر الأنظار نحو
القصر ثم تعود بعين كسيرة منهزمة ، وهنا فقط تنهد دماء ودموع من
القلب والعين ، ومن كل مكان ، دماء ودموع تنصب انصباباً وتنسكب
انسكاباً حتى ليخشى أن يغشى على الأبصار والبصائر . لقد كانت صورة
الفاروق التي يعمر بها كل قلب مصري تنتثر حولها الدموع فتكاد تحجبها
عنا فتقصيها قوانين الضياء ، وتدنيها قواعد الولاء . كان كل فرد منا يشعر
بأن الملك يحوطه بعطفه ويشمله بلطفه وظرفه ويتقبل منه دعاءه ورجاءه .
هذا في حرم القصر ، أما في خارج القصر ، في جميع أجزاء مصر فجزع لا
يوصف وحزن لا يقدر . الفلاح والعامل والصانع والزارع ، الغني والفقير ،
المالك والأجير ، الدعاء للفاروق تسبيحهم ، والهتاف له عمامهم . كان هؤلاء
وأمثالهم ممن لم يستطيعوا الذهاب إلى القصاصين أو إلى عابدين ، يسألون عن
الملك بدموعهم فكنا لا نجيبهم إلا بدموعنا ، الدموع منهم تسأل والدموع

منا تجيب . لو أن كاتباً أجنبياً شاهد الفلاح وهو يترك حقله ليسأل عن الملك ، والصانع يغادر مصنعه لكي يسأل عن الملك ، ولو أنه رأى هذا الإجماع على الحب ، وهذا الانجذاب نحو الفاروق لقال لقومه : « جئكم من مصر ، بلد العجائب ، بالأمس رأيناها تدهش الدنيا بآثارها واليوم تدهش الدنيا أيضاً بحبها لفاروقها ، ولو أنه رأى هذا العامل الفقير المحتاج الذي يشتغل طول نهاره والجزء الأكبر من ليله ، لا يكاد يجد ما يتطلبه قوت عياله ، الصابر دائماً لأنه مؤمن ، المستسلم دائماً لأنه مصرى . يسأل كل سائر يتوسم فيه المعرفة كيف حال الملك ؟ كيف قضى يومه الملك ؟ وذلك قبل أن يسأل عن عمله ، وعن قوت عياله ، أبتعطل أم يظل على الطوى يومه وليله ، لو أنه رآه لآ من بأن الحب الفاروقى هو غذاء كل مصرى . ما سر كل هذا الحب ؟ ما سر هذا الإجماع فى الحب ؟ إنه والله لمعجزة كبرى . لا يعرف سرها .

في طريقى إلى كعبة المصريين

و ذات صباح وجدت نفسى وسط قافلة بشرية ومظاهرة وطنية .
كنت خالى الذهن من معرفة أشخاصها ، ولكنى كنت على ثقة من أنها ذاهبة
إلى عابدين أو إلى القصاصين ، وهل لغير هاتين الكعبتين المقدستين تتجه
كل هاته الجموع والحشود ، التى ليس لكثرة عددها مثيل فى الوجود .
إن الشوارع لتزخر بالمظاهرين وكأنها بحار عميقة ، ممتلئة بالماء ، وإن
الناس ليتكدسون ويترامون وكأنهم إلى أرض الميعاد ذاهبون . وما شعرنا
إلا ونحن داخل المحطة ، لم نستطع أن نشق لأنفسنا طريقها حتى ولا بشق
الأنفس كما لم تستطع الطوائف التى لحقتنا أن تشق طريقها فيما بيننا ، وكنا
كثرة لا تحصى ولا تستقصى . مختلفين فى السن والأزياء ، والطبقات
والثقافات ، فمننا العامل الذى ترك عمله ، والصانع الذى تخلى عن مصنعه ،
والموظف الذى لم يعبأ بوظيفته ، والطالب الذى هجر جامعته أو مدرسته .
وأذن مؤذن الرحيل بالاستعداد للرحيل ، فانطلق الجمع الحاشد داخل
المحطة كالجيج داخل جده . وبالرغم من أننا جميعاً كنا فى حالة إعياء شديدة
إذ أننا قضينا ليلة طويلة فى أحلام لذيذة وأوهام مريرة ، فالفاروق مؤانسنا
بروحه ، والفاروق مخيفنا بجرحه ، وإذ أننا تحملنا ما تنوء به العصابة أولو
القوة من تحيات الملايين من أقاربنا وأهلينا وأصدقائنا وذوينا ، ومن
دعوات الملايين من المصريين الفاروقيين الذين لم يستطيعوا الذهاب إلى
القصاصين والذين كانوا يشيرون كل مسافر ، ويحسدون كل ذاهب . بالرغم
من كل ذلك اندفعنا إلى القطار بقوة وفتوة . . . نتراحم ونتراكم ونهتف

وندعو من أعماق القلوب . شفاك الله يا فاروق ، رعاك الله يا فاروق ، كلنا فداك يا فاروق ، وإنا لنكاد نبكي حين نهتف ونجثو حين ندعو ، حتى لقد أثر منظرنا في جنود الأجانب . فصاروا على الرغم منهم يشتركون معنا في الالتفات وفي الدعاء ، ويساهمون معنا بحركة آلية عصبية أوجدتها ظروف الزمان والمكان . وإن هتافاتنا ودعواتنا لتنجذب بشدة إلى السماء وكأنها أجيبت أو كأنها لبیت .

سبحانك اللهم سبحانه ، هذه مصر جميعها قد اجتمعت دعوة لذلك الحب الذي زرعه ، وذلك الولاء الذي أوجده ، وذلك الوفاء الذي أنبته وذلك الإخلاص الذي مكنته ، وذلك الإيمان الذي ثبتته ، فكانت خير أمة أخرجت للناس في حبها وولائها وإيمانها ووفائها . ودقت ساعة المحطة السابعة وبالرغم من شدة دقاتها لم تستطع أن تحجب أصوات دقات قلوبنا ، وانطلق الجمع يهتف مرة أخرى بشدة وبحماسة أنست الجنود المكلفين بحفظ النظام واجباتهم ، فراحوا يهتفون مع الهاتفين ، ويصفقون مع المصفقين ، ويدعون بإخلاص مع الداعين . وقابلت الجروع القطار على بعد أمتار بل محطات ، وما هي إلا دقائق وثوان حتى كان ما على ظهر القطار أكثر مما في باطنه ، وإنه ليمشي وسط كتل بشرية ، فلقد كانت الأرض مملأة بالمسافرين والقطر مزدحمة بالحجاج الفاروقيين ، ولم يبق في داخل المحطة أو خارجها موضع لقدم ، عمال أتوا بملابس العمل لكي يؤدوا الواجب الأول للعامل الأول . طلاب أتوا بكتبهم وحقائبهم يؤدون الدرس الأول للمدرس الأول ، وموظفون وتجار ومزارعون وصناع جاؤوا ولا أمل لهم في الحياة سوى رؤية المصري الأول والاطمئنان على صحة الزعيم الأول ، في داخل

القطار وخارج القطار ديمقراطية منقطعة النظير ، وتعاون ليس له مثيل ،
في أى وقت أو جيل ، فالازدحام الشديد الذى لا يستطيع أن يصوره
أو يتصوره إلا أولئك الذين شهدوه ، والذى كان كافياً لإحداث كوارث
شديدة وحوادث أليمة ، كان مثلاً حياً من أمثلة الديمقراطية والتعاون ،
لا فرق بين مسافر مهما سميت مكانته وبين آخر مهما بلغت درجته . والعاجز
الذى أبى إلا أن يزور ، والطفل الذى قرر أن يحج ، والمريض الذى صمم
على الذهاب إلى حيث يقيم مالك البلاد . كان كل واحد منهم يجد من الجميع
المعاونة والمعاضدة ، يحملونهم فوق أكتافهم ، ويضعونهم فوق رؤسهم ،
حتى لقد امتلأت العربات بالآدميين الذين حشروا فيها حشراً ودفعوا
فيها دفعاً . لقد كنا نتمنى الهواء فلا نجده ، ونتلمس الضوء فلا نعره عليه ،
ومع ذلك أحسنا بنسيم عليل استنشقتة القلوب لا الرئات . وكاد يأخذ
منا العجب كل مأخذ لولا أن قائلنا قال : لا تعجبوا يا قوم فان نسيم
النفاروق قد هب .

وأغرب ما وقعت عليه عيني منظر أطفال صغار لا يقلون عن التاسعة
ولا يزيدون عن العاشرة يحاولون أن يشقوا لأنفسهم طريقاً بين تلك
الجموع التى يضل فى وسطها القوى المتين . وما كان أجدرهم أن يكونوا
بحوار بائعى الحلوى أو وسط الحقائق والمتنزهات يلعبون ويمرحون ،
لولا أنهم مصريون فاروقيون . تقدمت إلى أحدهم - وأنف حقدى راغم -
« كيف تركت والدك فى مثل هذا الوقت من الصباح ؟ وما حالك بهما
لو افتقداك على مائدة الغداء ؟ وما حالهما معك لو عرفا مكانك هذا ؟ وما
الذى دفعك إلى أن تخاطر بأمثال هذه المخاطر التى لا يقوى عليها إلا كل

قوى متين ، وأنت ما زلت غرض الالهاب ؟ ، قلت له هذا فى كلمة أو فى نظرة
ولكنه أشاح بوجهه عنى بعد أن نظر إلى نظرة كاد يقتاتى بها ، ثم قال ما
ترجمته : « ولماذا أتيت هنا وما مال أصدقائك وصديقاتك لو تفقدوك ظهراً
وعشاء فما وجدوك ؟ أتعقد أنك وإخوانك الشباب أكثر منا حباً للملك
لأنكم أقوىاء فى الجسم كباراً فى السن ؟ انه ما ليكننا كما هو مليكنكم ، والدنا
كما هو زميلكم ، إنه يشعر نحونا بحنان الأبوة وعطفها أكثر منكم أو مارأيته
يعطف على الفقراء منا ويمد يد المساعدة لنا ، ويشجع المشروعات الخيرية
التي توفر السعادة والهناء للفقراء منا .

إنه ياسيدى قد أنجب لنا حبيبنا فريال وزميلتنا فوزية . لئن كنتم
تحبونه فنحن نعشقه . . . وإن كنتم تعشقونه فنحن مقيمون به . أما تعلم أن
تلك القلوب الطاهرة البريئة أمثال قلوبنا هى خير زخر للفاروق والمستقبل
دولة الفاروق . لقد نشأنا على حبه ، وربينا على الإخلاص لعرشه وأمته ،
لقد كنت ياسيدى طفلاً قبل اليوم ، وما أظنك إلا عرفت كيف يكون
حبنا وولاؤنا — إنه لأثن شيء فى جبين هذه الأمة . فوالله لو أن أختى
سعاد التي تصغرنى بعامرين استطاعت الحجى معى لأتيت بها وكنت نخوراً
بمجيئها معى . لقد بسكت بكاء حاراً حينما قلت لها بالأمس فيما بينى وبينها
إننا ذاهبون إلى الملك ، لقد حملتنى له قبلة ، ولكن هل أستطيع أن أبلغها
له . إن ذلك فيما يلوح لى غير مستطاع ، فألا كنت بتقبيل المستشفى .
وابن عمى سمير الذى داسته الجوع بالأمس عندما كان يحاول الذهاب .
لقد بعث معى وردة بيضاء سرف تكون أسعد حظاً من قبلة سعاد ، سوف
أنتهز فرصة انشغال الحرس بكم وأقذفها فى حجرة الملك ، وإنى واثق أن

جلالته سيثتم فيها رائحة الحب . وأحمد نجلى بوابنا قد بعث معى خطاباً للملك ، أتدرى بما كتبه وكيف كتبه ؟ وغادرني الطفل الصغير ليشارك مع الهاتفين بصوته الظريف ، وإني أكاد أحلف بقدسية الحب الفاروقى لو أن الملك سمعه حين يهتف وحين يدعو ، لشفى ترواً من مرضه . أما أنا فكنت سعيداً بهذا الطفل سعادة لو أن مال قارون كان لى ما سعدت به مثل تلك السعادة . لقد حاولنا أن نوسع له الطريق — وأن نخلى له مكاناً فوالله ما قبل ، لقد أحب أن يشقى فى سبيل الفاروق كما يشقى الناس . حتى يشعر بلذة الشقاء . . .

وانطلق القطار يتهادى رويداً رويداً . . . فامتزجت هتافات بتأوهات وصيحات بابتسامات — لقد نجح من نجح ورسب من رسب ، وركب من ركب ، والذين قدر لهم أن يشاهدوا أولئك الذين تركهم القطار ، والأسى الذى كان بادياً على وجوههم بالرغم من أن القطار الثانى سيلمحق القطار الأول بعد قليل ، ليمجبون أشد العجب من تغلغل الحب الفاروقى فى نفوس الشعب الفاروقى . . .

وازدادت سرعة القطار حتى ليوشك أن يحترق ، ولكن الركب مع ذلك يشكو البطء . . . لقد رغب فى أن يدفع القطار أو يجره . . . لم يكن القطار سائراً بالبخار ولكن بالإخلاص الحار المنبعث من قلوب ركابه الأطهار ، وكلما رأى الفلاحون القطار غادروا مزارعهم ليتغنوا باسم الفاروق ، وليشاركوا كعادتهم فى تحية كل ذاهب إلى الفاروق .

وهذا رجل عجوز أحنى الدهر ظهره ، وببيض الفقر شعره ، وقرب المرض نهاية عمره ، قد نادى طفله الصغير كي يقوده إلى حيث الهتاف الذى

يشق عنان السماء ، ويدوى فى أرجاء الفضاء . ووالله ما أدرى أكان منظر الشيخ العجوز وهو يردد الهتاف بحماس يحسده عليه شباب العشرين فى القرن العشرين أجمل أم منظر الطفل وقد نسى أباه أو جده وانطلق يجرى وراء القطار عله يحمله أو عله يحمل تحيته أم العكس . . . عاطفة نبيلة ما أعظمها وما أفضلها ، وما أجملها وما أنبلها . ووالله لست أدرى أمنظر تلك الفتاة التى كانت تملأ جرتها من التربة فما كادت تلمح القطار يدوى حتى انطلقت تدعو وتهتف ، أم منظر تلك الطفلة الساذجة وهى تسأل أمها فى إحدى المحاط عن الفاروق وعن أولاده وما كله ومشربه ، فتجيب الأم فى سذاجة وبراعة طاهرتين نبيلتين ، « إنه الحبيب لكل محب ، والصديق لكل إنسان ، والرفيق لكل محروم ، لقد زارنا فى كوئنا الصغير وشاركنا فى طعامنا البسيط ، لقد كان عمدتنا يأبى أن ينظر إلينا وشيخ قريتنا يغسل يده إذا صاحنا ، وخمير العزبة يتعالى علينا ، حتى كانت زيارة الملاك فسكانت الفتح المبين ، عرف الناس أننا مثلهم ، وعرف الأغنياء أن الفاروق لا يفرق بيننا وبينهم بل يفضلنا عليهم . وعرفنا نحن قيمتنا ومكانتنا لبتنا جميعاً فداؤه » .

وقام القطار من بنها بعد أن حاولت تلك الأم أن تنعلق به فما استطاعت وانحنت الأشجار التى قابلتنا لى تخييدنا ولو استطاعت النطق لرحبت بنا تتمايل من فرط شوقها حتى لكانها هى الأخرى مشتاقة للفاروق تواقه للمليك ، ومن عجب أن تمايلها كان دائماً جهة القصاصين .

وكلما مر القطار على قوم جلوس هرعوا إليه وحاولوا سبقه لى يتمتعوا أنفسهم وقلوبهم بما يديه الركب من حب وولاء ولكى يتمتعوا غيرهم

بما يبدونه من إخلاص ووفاء . . .

لقد تمنيت أن يكون الفاروق معنا ، ليرى الحب المجسد والإخلاص
القوى والولاء الأكيد .

لقد كان حياً طبيعياً وإخلاصاً إلهياً وولاء ربانياً ، لم يكتب لأنه
موجود من الأزل ، ولم يشتر لأنه لا يباع فى أى مكان .

أما تلك المحاط التى كنا نمر بها صغيرة كانت أم كبيرة فلم تسكن تستطيع
أن تر مبانها . لقد امتلأت من أسفلها إلى أعلاها بالجموع والحشود التى
كانت تحاول أن تندس فىنا ، وتأبى إلا أن تركب فوقنا وفوق القطار لى
تر زين الملوك ، قلنا لهم : إن الملك شعاه الله لا يقابل أحداً لمرضى ، فأنكبوا
عنكم وفداً ، . قالوا : « مادمنا لا نستطيع أن نر الملك فلنر المكان الذى فيه
الملك وما دمنا لا نستطيع أن نقبل بحرارة وإخلاص يد الملك فلنكتف
بتقبيل المكان الذى فيه الملك » . قلنا : « ادخلوا تكدسوا » . لو أن شاكر
باشا كان معنا لوجه كل قطاراته إلى القصاصين وما أظنها كانت تكفى . لاند
شغلت نفسى بعد العربات وما فى العربات ، عشرون عربية فيها عشرون
ألف ، لقد كان يجلس على ركبتى أربعة أشخاص وعلى كتفى ثلاثة ومع ذلك
لم أشك . ولقد كنت مستريحاً ، وكأنتى فى أنخم صالونات المجتمع الراقى . .
كنت قد أعددت العدة لى أكتب طول الطريق ورغب إخوانى فى أن
يهيئوا لى مكاناً هادئاً ، ولكنى لم أستطع أن أخط حرفاً واحداً ، كل شىء
يغرنى بالكتابة ، الكلمة العادية التى تخرج من فم أى إنسان كافية لأن
يكتب عنها مقالات ، النظرة التى ينظرها أى مسافر لو ترجمت إلى لغة
الكتابة لما وسعتها صفحات عديدة . وكان الطريق حلواً لذيذاً مغرياً بكل

وسائل المغريات . وكأما قطعنا عشرات الكيلو مترات أحسبنا بالراحة والاطمئنان وبتضاعف الإخلاص والإيمان . والصجرات الواسعات ، ومخلفات الحرب من طائرات ودبابات ، وأشجار النخيل الباسقات ، كانت كافية لأن تشغلنا ولكنها ما شغلتنا . وجأة شعرنا بأن قلوبنا قد قفزت من أماكنها والقشعريرة المريعة قد انتابت كل أجسامنا وتملكنا شعور عجيب غريب لا يوصف ولا يعرف ولكنه يحس فقط ، شعور خاص بنا مقصور علينا . وسألنا فقيل لنا « هنا كانت الموقعة الكبرى ، هنا حدثت الصدمة العظمى ، هنا جرح الفاروق » وخفف القطار من سرعته حتى لكأنه قد أثقله ما أثقلنا وهزه ما هزنا وأهمه ما أهمنا . ودهش أصدقاؤنا من أبناء تلك الجهات عند ما قلنا لهم تلك هي القصاصيين . قالوا وكيف عرفتموها وما سبق لكم علم بتلك الأصقاع ؟ .. قلنا « عرفناها بشذاها ، بحرارة الحب المنبعثة منها ، من كثرة الانظار المتجهة إليها ، إنها مصر وهل في الدنيا من يحمل مصر . إنها لعلم على بقعة قدسية قدستها نفحات الفاروق ، وعلم على صحراء جرداء في أقاصى مصر حولها الحب إلى جنة تهوى إليها الأفتدة ، وإلى قبلة تتجه إليها الصلوات والدعوات » .

كانت أفقر مكان فغدت أغنى مكان ، كانت فقيرة مجردة إلا من رمالها وحصانها فأصبحت اليوم تفاخر عواصم الدنيا وتتحدى أجمل بلدان العالم ، قد قدر لها في يوم واحد أن تكون ينبوع ألم وراحة . . وهناء ودعة . . . وآس وأمل . . شقيت وسعدت في يوم واحد . وشقينا بها وسعدنا في يوم واحد . تمنى قصور الشرق أن تنتقل إليها وتأمل جنات الغرب أن تجتمع فيها .

كانت المنأى السحيق والمنفى البعيد ، فغسدت المهورى العزيز والمهبط
السعيد ، ترعرعت فيها ديمقراطية فاروقية تفاخر أعظم الديمقراطيات ،
وأقوى الديمقراطيات ، وأى ديمقراطية أروع أو أبدع من
أن يجتمع فى قرية نائية العظماء والوزراء والخبراء فيكونون فى كل شىء
سواء بسواء ، أقبل الجميع من كل حدب ينسلون ، يقيمون فيها الساعات
الطوال لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ، بل يظهرون من الولاء
ما يستطيعون .

وأشهد الله أننى منذ أن تركت القطار فى محطة القصاصين لم أر الطريق
إلى المستشفى ولم أعرف عنه شيئاً ، ما رأيت أرضه ولا عرفت طوله
ولا عرضه ، الجموع التى اجتمعت فيه ليس لها أول أو آخر ، حتى لقد
امتلات الصحراء المجاورة لضفتى الطريق بما لم يتسع له الطريق .

أما الجنود الأجانب الذين كنا نمر عليهم أو يملأون علينا ونحن
سائرون فى طريقنا أيضاً ، كانوا مبهورين مندهشين ، معجبين متعجبين
من هذا الإخلاص المتين . ووصلنا بعد لآلى وجهه إلى المستشفى ، تخشينا
أن نقرب منها . فوقفنا بعيداً عنها فلا الحراس هم الذين منعونا ولا الحواجز
هى التى حالت بيننا وبين المضى فى مسيرنا ، ولسكنها الرغبة والخشية ،
وما عجبت فى حياتى إلا من حب تتبعه خشية ومن عشق تميز به رهبة .
واقتربنا ، وملأنا الجوهتاً ، قيل « انصتوا فالملك شفاه الله نائم » ، قلنا :
لن نسمعوا منا إلا دقات قلوبنا وهى تسرع أو تبطئ ، ولن تروا إلا قلوبنا
وقلوب أهلينا وهى تخلق بجوار العلم المصرى تحميه وتفنديه ، وتباركه
وتهنيه ، وتظهره وتزكيه ، وأنصتنا ولم نتكلم ، وطال ليل صمتنا ولكن لم

نعم ، نفى عنا الكرى خاطر ألم .

وتطلعنا إلى المستشفى الذى صار كعبتنا ، وتمنينا لو أننا نقلناه على
أرؤسنا بدمائنا إلى القاهرة حتى يطمئن شعب قلق وتهدا أمة ثائرة .

ورأى رجال الحاشية بذكائهم ما يحول بخواطرنا فأحبطوا مؤامرتنا .
قالوا لنا : أنيبوا وفداً منكم يتشرف بمقابلة الملك ، وظهرت الانانية هنا فقط
بأجلى معانيها . وأظهر صورها . وما أحبت الانانية إلا فى هذا المقام .

قلنا : « كلنا فى حب الفاروق سواء فلم يباح لبعضنا أن يحيا ويموت
الآخر ، وأن تصح طائفة وأن تظل أخرى مريضة ، كلنا فاروقيون جنود
الملك ، أحيائه ، أصدقائه »

قالوا : ولكنها إرادة الملك ، وصدعنا تواء بالامر . وتألف الوفد ،
وذهب مشيعاً بدعوات الموفدين ...

ها هوذا الفاروق المعظم يحيى مبتسماً ، ويشكر مبتسماً ، ويسأل عن
إخواننا مبتسماً ، وينصحننا مبتسماً ، كنت أعددت نفسى لى أخطب ،
وسهرت ليلتين بطولها أفكر فى الخطبة ، لكنى عندما رأيت الفاروق جالساً
فى حجرة ضيقة بها سرير صغير وبضع كراسى وبضع كتب ومصحف شريف
وصورتين للأميرتين المحبوبتين فوزية وفريال ، لم أستطع أن أقول شيئاً .
كانت لنا رغبة فى الكلام ولكنها لم تكن تقدر على الكلام ، وعدنا من عند
جلالاته وبودنا ألا نعود وبودنا أن نظل إلى الأبد فى جواره نتغذى بالتطلع
إلى وجهه الوضاح ، ونحيا بالاستماع إلى صوته المحبوب .

ولم يعرفنا إخواننا لأول وهلة ، لقد أنكرونا . لشد ما اختلف منظرنا
عما قبل ، تغيرنا ، زدنا ، كبرنا ، خلقنا خلقاً جديداً .

قلنا لهم : إن المليك حفظه الله يشكركم . قالوا : « هو أولى بالشكر منا » .
قلنا لهم : لقد تفضل فنجنا عطفه ، وأحاطنا برعايته . لقد جئنا لنظهر له
الحب فأظهر لنا ما هو أسمى من الحب ، وعادنا جميعاً - من تمتع بالزيارة
الملكية ومن لم يمتنع - إحساس غريب فأحينا أن نسمع الملك صوتنا بعد
أن أسمعناه وجيب قلوبنا ، وبالرغم من أن الأوامر كانت قد أعطيت لنا بعدم
الكلام ، فلقد خشينا ألا نقدر على مسك ألسنتنا . وانفجرنا ، وكانت
قنبلة كنت أنا مرسلها وثورة كنت أنا مشعلها « عشت لمصر يا فاروق ، دمت
لمصر يا فاروق ، فاروق يازين الملوك ، الأمة تفديك يا فاروق » واشترك
كل من بالمكان في الهتاف بهذا النشيد ، حتى من أمرونا بعدم الكلام .
وتلك معجزة من معجزات الحب ، وحملنا بعض الورود إلى المرضى ، لقد
حسدناهم وغبطناهم وتمنينا لو كنا مكانهم . إنهم مرضى وبكل مريض جرح
بليغ ، وإنهم جميعاً في حالات خطيرة ، والموت أقرب إليهم من حبل الوريد ،
ولكنهم سعداء بالفاروق ، أصحاب بجوار الفاروق ، وهل في الدنيا بأسرها
أسعد ممن يسكن على بضع خطوات من المليك يسأل عنه صباحاً ومساءً
ويسأل هو عنه صباحاً ومساءً . يوزع عليهم الهدايا ويوزعون عليه
الحب الذي امتلأت به قلوبهم . وقابلنا المرضى والمرضات ، لقد
كانوا كالحور العين ، علا البشر على وجوههم ، وبدا الابتهاج على محياهم ،
وأشرق السرور في قلوبهم ، لقد زادوا بسطة في العلم والجسم ، والجمال
والكمال . لقد تحدثوا عن عطف الفاروق ، ولطف الفاروق ، وظرف
الفاروق . وحدثناهم عن سخاها وجلالته وخلائقه العظيمة فكنا نتسابق في
القدرة على الوصف ، ولكننا كنا نشترك في العجز عن الوصف .

لقد تمنيت أن أكون ممرضاً مادمت لم أستطع أن أكون مريضاً وذلك
لكي أحظى بخدمة الفاروق ، والتطلع دواماً إلى محيا الفاروق . إن ديمقراطية
الملك ، وخلائق الملك ، وابتسامة الملك ، هي التي جعلت حب الملك والولاء
للملك لا يقتصر على أفراد شعب الملك بل تعداه إلى الكثيرين ممن لم تسعدهم
الظروف بأن يكونوا من رعايا الملك ، وإلا فسل هؤلاء الجنود الأجانب
الذين أغرموا بحب الملك ، وتيموا بحب الملك ، وسل هؤلاء الممرضات
والممرضين الذين تفانوا في خدمة الملك ، والذين ضحوا بكل شيء في سبيل
الملك فذلك عن سر حبه للملك . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

لقد كان من عادة هؤلاء الأجانب إذا تحدثوا عن الملك فاضت

أعينهم وقلوبهم بالبشر . وامتلات أفئدتهم ونفوسهم بالسرور
لقد قال الأطباء أمامي : إن الخطر كان على جلالته عظيماً ، وإن
الجرح كان بليغاً ، والفضل في شفاء جلالته سريعاً هو الطب الحديث
ومعجزة الطب الحديث ، وما تتمتع به جلالة الملك من تحمل واحتمال .
قلت كلا وألف كلا ، إن الدواء الشافي والبسم السريع هو هذا الحب . إن
تلك الملايين المملينة التي جاءت هنا والتي لم تستطع المجيء . دعاؤها هو
الطب . هتافها هو الطب ، حبها العنيف ومعجزة الطب ، هذا هو الواقع
وهذه هي الحقيقة ، أما ما عدا ذلك فشيء لا أومن به على الإطلاق . حب
الشعب ياقومي هو الدواء ، ولاؤه هو البسم الذي لا يحتاج إلى طبيب ،
أما طبكم أيها السادة فعامل مساعد ليس إلا . . وضحكوا ، وضحكنا .

وجاءت دفعة أخرى فأحببنا أن نخلي لها المكان لكي تنتعش كما
انتعشنا ، ولكي تسعد كما سعدنا ، ولكن كيف نترك الفاروق . أعود إلى

منازلنا وليس معنا الـأب الاول . لن يكون ذلك قط حتى ولو بتنا فى العراء .
قلنا لأول الامر ذلك فضحكوا منا . قلنا « لانريد منكم شيئاً ، لا مأكل ولا
ولا مسكناً . سنفتش الصحراء ونلتحف السماء ، ونظـل نأكل بما رزقنا
الله من حب للفاروق وإخلاص وولاء للفاروق إننا لم نأت إلى هنا إلا بأمر
من ضمائرنا وقلوبنا وأرواحنا ، فانفقوا معها إن أمكنكم . إن نقل القصاصين
برمالها وحسباتها وبيوتها لآسـهل علينا من الرجوع دون ضيف القصاصين »
وحاولوا إقناعنا بالعقل والمنطق والعاطفة وكل شىء فما استطاعوا . وقال
أحد الماكـرين « ولكنـها إرادة الفاروق » قلنا : وإرادته هى العليا . وعدنا
من حيث أتينا محوطين بعاملين من أشد العوامل . عامل الحب وعامل
الطاعة ، لقد كانت الوفود المقبلة أكثر من المدبرة والمدبرة أقوى حيوية
من المقبلة ، ألا ليت المكان اتسع لمصر جميعها من خط استوائها ، إلى
عروس بحرهما . . .

ولقيت الطفل الصغير ، يهتف ويدعو ، قلت تستطيع الوقوف والhtاف
وأنت لم تأكل بعد ولم تشرب وليس فى الطريق ما يؤكل وما يشرب .
قال حسبي ما أكلته ، لقد أكلت ما يكفينى طيلة حياتى ، وارتوى قلبى
ارتواء لا ظمأ بعده أبداً ، لقد غدوت أسعد طفل فى الدنيا بأسرها ، لقد
أديت الأمانات . قبلت المستشفى ، أرسلت الوردة . كتبت إسمى فى سجل
التشريفات . ليت يومنا كان دهرا . وقبلته وبودى ما تركته ، وغبطته وما
حسدته ، وركبنا القطار . . وعدنا إلى القاهرة مسرعين مهطعين لتبليغ
تحيات الفاروق إلى أهليـنا وذويـنا ، فتقبلوها منا شاكرين ، داعين .

أيام غراء

وفي اليوم التالي « أمضى صاحب الجلالة الملك ليله مستريحاً ونام نوماً هادئاً والحرارة والنبض طبيعيان ، وفيه تشرفت القصاصين بزيارة صاحبة الجلالة الملكة نازلي وسمو الأميرات المحبوبات ورئيس الوزراء وبعض الوزراء . والزعماء ، ووفود لا حصر لها ولا عدد . منهم من يستقل سيارته ، ومنهم من يركب القطار ، ومنهم من يمشى على رجليه . والجزع باد على الجميع ، حتى لقد خشى رجل الطب والإخلاص على باشا إبراهيم عاقبة هذا الجزع . وأشار على مولاه بالعودة إلى عاصمة ملكه حتى يطمئن الشعب الجزع . قال الملك : « ولماذا لا أبقى حتى استكمل راحتي . فقال على باشا : إن المكان ضيق يا مولاي . قال الملك : إن ضيق المكان لا يكون سبباً في مغادرته . لقد احتملني فيجب أن أحتمله . وأعطي أحمد حسنين باشا — رجل الوفاء — إلى الوطني المخالص الأستاذ مصطفى أمين مندوب الأهرام تحية إلى الشعب من ملكه .

« لقد كلفني مولاي أن أشكر بإسم جلالته شعبه الوافي على هذه المظاهر الصادقة والعواطف الناطقة والشعور الفياض . ويقول مولاي إنه أحس بهذا الشعور يبعث فيه دفء العافية . ولو استطاع لنهض من فراشه ليحيي أمته فرداً فرداً . ولقد حرص مولاي على ألا يتجشم الشعب مشقة القلق على صحته . فرغب في ألا يذاع النبأ . ولكن النبأ مع ذلك قد ذاع . وكان من أثره هذه المظاهر العظيمة الكريمة . وقد وصفها مولاي بأنها تبادل شعور

بينه وبين شعبه . . والحق يقال إن الشعب ظهر جميعه بمظهر لم يوجد في
في أى بلد من بلدان الدنيا جميعاً . وأذهل الغريب كما أدهش القريب بحبه
الذى ليس له مثيل أو ضرب .

في القاهرة لا ترى إلا الدموع منهمة ، والدعوات مرتفعة ، والمحتافات
تشق عنان السماء . وليس الشعب وحده هو الذى احتل منذ الفجر مسالك
القصر ، بل السفراء والقناصل ورجال الأعمال والمال وضباط الجيوش
المتحالفة وجنودها ، والتأثر مسيطر على الجوع ، والحزن مستول على
نفوس الجميع . قال أحد الأجانب : ما رأيت الملك فاروق ولكنى رأيت
ماله من المحبة في القلوب - قلوب المصريين - ولذلك جئت أستفسر عن
صحته . وقال آخر : « ما رأيت إلا مرة واحدة جذبتنى شخصيته ، وغيرتنى
ديمقراطيته ، وتسيطر على حيويته ، فلم أستطع الفكك من حبه . إنه
رجل قبل أن يكون ملكاً » . وقال ثالث : « ما حسدت المصريين على شيء
إلا على فاروقهم . إنه أثمن درة في سماء الوادى » وفي القصر ترى أروع
الديمقراطيات ، وأبدع ضروب المساواة ، لا فرق بين عمال أو باشوات ،
أو صناع أو بيكوات ، كلهم يقابلون في القصر بأجمل الترحيبات . لقد
سبقنى في كتابة إسمى في دفتر التشريفات أحد كبار الباشوات ، وانتظرنى
حتى أكتب إسمى وبعض العبارات أحد رؤساء الوزارات . وخارج
القصر كما في داخل القصر ، أعلام ترفرف وحناجر تهتف ، وميدان عابدين
قد ضاق بالجمع على تكديسه وتراكمه . . . أمم تذهب وأخرى تجيء ، وكل
مكان في القاهرة يضج بالزائرين ويموج بالوافدين .

وفي الإسكندرية وطنطا والمنصورة ودمياط ، العمال والطلبة ، الأعيان

والموظفون ، الفلاحون ، قاموا بإظهار عواطفهم كل على النهج الذى يرتضيه ويتبعه . ما تركوا مكاناً إلا عطروه بإخلاصهم وولائهم ، وما تركوا دقيقة تمر ولا واستغلوها فى هتافهم ودعائهم .

لقد تمنوا أن يقدوا الملك بأرواحهم ، فافتداهم هو بجرحه ، ورغبوا فى أن يضجوا فى سبيل الملك بصحة وسعادتهم ، فضجى هو بصحته وسعادته . فنعى الفداء ونعمت التضحية ، يامليك الفداء والتضحية .

أمضى حضرة صاحب الجلالة ليله فى راحة تامة ، ونام نوماً هادئاً ، والتحسّن فى صحته مستمر ، والحالة العامة جيدة . هذا هو اليوم الثالث فى القصاصين كان يوم الصلوات والدعوات . لقد رفع إلى جلالته مطاردة القدس وقتنا والفيوم تمنيات إخواننا الأقباط لجلالته بالشفاء ، وتوجه حاخام اليهود الأكبر إلى رجال طائفته ليشكروا الله على نجاة الفاروق . واستحالت مصر جميعها من منبع الوادى إلى مصبه مسجداً واحداً ، وفماً واحداً ، وقلباً واحداً ، لا يهتف إلا للفاروق . الناسك المتعبد ، الصوفى المتجد ، ذو المثل الأعلى لكل إيمان ، القدوة الطيبة لكل إنسان . لقد قال الذين شهدوا الحوادث ساعة وقوعه : إن مهارة جلالته فى القيادة حالت دون وقوع خطر عظيم ، ولما سكن الملك حفظه الله وأبقاه قال : « كلا ! بل المصحف الذى أنقذنى . . . إيمان صادق ما أجله ، وشعور قوى ما أنبله ، وحل ميلاد الأميرة فريال كبرى الأميرات الفاروقيات والوالد الصالح والملك الصالح بمنأى عن القصر . الأميرة فى عابدين ، وهو فى القصاصين ، لم يكن بجوارها ، ولم تكن بجواره . لقد قضى الله أن تذوق الأميرة الصغيرة الأسى الذى ذاقته كل المصريات . وهل بعد ذلك ديمقراطية من

الديمقراطيات . وأرسلت الأميرة هدية تقليدية أبي فضل جلالته وكرمه إلا أن يوزعها على خدام المستشفى ومرضاها . لقد كان أثرها في الجميع أثراً بالغاً لا يوصف . أغرورقت عين أحدهم بالدموع حينئذ . وتذكر ابنته التي تركها في لندن ، ورأى — وحقاً ما رأى — أن الملك يقدر أعظم التقدير شعور الوالد حيال ابنته البعيدة عنه .

وكان أول سؤال سأله : هل من جديد فيما يتعلق بلبنان ؟ وكان ثانياً سؤال : كيف حال المرضى والمساكين بالقصاصين ؟ وأسرأت توزيع اللحوم والهدايا عليهم ، بل كان يتأكد من عدالة التوزيع . وكان ثالث سؤال : كيف نام رفاق الملك ؟ وكيف أكلوا ؟ لقد كان وما زال يحنو على الصغير والكبير ، والغنى والفقير ، لأنهم رعيته وهو راعيهم جميعاً . وكان وما زال يشمل بعطفه المصري والشرقي والأجنبي ، لأنه صديق الجميع ، ومالك الجميع . فلماذا إذن يندesh الناس من هذا الإخلاص الممكنون ، الذي أظهرته القصاصين ، والفاروق أسر الجميع ، والمستولى على قلوب الجميع .

لئن كانت الأهرام أعجوبة العصر القديم ، فحب الفاروق أعجوبة العصر الحديث .

يوم رابع : تحسنت صحة حضرة صاحب الجلالة الملك تحسناً واضحاً وقد مضى يومه وليله في راحة تامة ، ولقد استطاع أن يطلع على برقيات الملوك ورؤساء الحكومات التي انهمر سيلها على القصر ، واستطاع أن يقرأ الصحف وأن يقابل أعضاء مكنتي البرلمان ، وبعض رؤساء الأسر والعشائر ، ووفداً من عمال السكك الحديدية .

قال أحدهم لأحمد حسنين باشا رجل الوفاء :

« مر الموكب الملكي لافتتاح البرلمان ولم تر في مركبة التشريفات
جلالة الفاروق يتسم لشعبه ويحييه كعادته فلم نستطع صبراً ، وجئنا إلى
معاليكم لنسمع ما يطمئنا على غالى صحة الفاروق . التى نفتديها بالمهج
والأرواح . وإننا لنضرع إلى الله فى كل وقت أن يبق الملك رمز الوطن
وحامى الإسلام . »

وكان العامل يبكى وهو يتكلم . وكان العمال وكبار الموظفين يبكون
وهم يستمعون . وأجل منظر رأيت فى حياتى منظر الأعيان يفسحون
للفلاحين الطريق لى يزورا المستشفى بجلاليتهم وطواقيتهم ، ولكى يقيدوا
أسماءهم فى سجل التشريفات مع عبارات ساذجة من إنشائهم الساذج ، ومنظر
الزعماء والأقطاب وهم يندمجون فى الشعب .

قال أحد كبار الأجانب : « إن هذا الإخلاص الحكومى والحزبى
والشعبى دليل واضح على أنكم تكونون جبهة تدعم العرش » .
وقال أحد جنود القوات المتحالفة : « لقد برهنتم أيها المصريون بحبكم
العنيف ، وبمشقكم القوى ، على أنكم جديرون بمحبة الفاروق لكم ،
وإخلاصه لبلدكم » .

وسرى النبأ فى خارج مصر . . . فى الدنيا بأسرها . . . فاستقبلت دور
المفوضيات والسفارات المصرية ، وزراء ورؤساء وزارات ، وأقطاب
وزعماء الأمم المختلفة ، مبدئين أسفهم لوقوع الحادث ، شاكرين الله على
عطفه بالملك والشعب . وطفقت صحف العالم ومحطات إذاعات العالم تتغنى
بمآثر الفاروق ، وأيادى الفاروق ، وتروى قصة القصاصين .

يوم خميس : استمر التحسن في صحة حضرة صاحب الجلالة الملك وقد أمضى اليوم في راحة تامة ، واستمرت الوفود تجيء وتذهب والجميع مأخوذون بسحر جلالته وديمقراطيته ، حتى لقد غدت تلك الديمقراطية رمزاً على الفاروق يزرعها فتنمو ، وينبتها فثمر . ولا يضمن بها على كبير أو صغير . وتلك هي عادته منذ كان طفلاً صغيراً ، ومنذ أصبح أميراً للصعيد ، ومنذ صار عاهلاً لمصر . فكلما نمت ، وكلما ترعرع ترعرعت ، حتى آتت أكلها بإذن ربها . لقد كان محمد أمين المسلماني أحد الجنود الفلسطينيين قد تعود أن يحمل إلى مقام جلالته يومياً الصحف ليكون — على حد تعبيره — في شرف خدمة الملك ، وكان الملك يتقبل منه تلك الخدمة بالشكر والثناء ، وكان أحد رجال الحاشية يحمل هذا الاسم فكان ذلك موضع ابتسام جلالته في كثير من الأحيان .

وتحسنت في اليوم السادس صحة جلالة الملك تحسناً كبيراً ، فاستيقظ جلالته بعد أن نام نوماً هادئاً عميقاً ، واتصل تليفونياً بالأميرتين المحبوبتين . وتلقى مئات المصاحف من مختلف الأشكال والألوان والأحجام ، وكذلك توالت طاقات الزهور والرياحين إلى جلالته فأمر جلالته بتوزيعها على المرضى ، كما تلقى كتباً مكتوبة بالدم وبرقيات بسيطة ساذجة . وتلقى على إبراهيم باشا برقية يقول صاحبها فيها : نناشدكم الله أن تكون يقظاً أميناً كعهدنا بكم . ولما سئل عن مرسلها ، قال ابن عبد الملك ، قال أحد الحضور : لا بد أن يكون ابن أحدنا .

وكان أول ما فعله في اليوم السابع أن قرأ القرآن بصوت مرتفع وقال

ما دمت لا أستطيع اليوم أن أؤدي الصلاة فأني أقرأ القرآن كل صباح . .
واستمع جلالته للإذاعة الخارجية وردعا حاشيته وأنبأهم نبأ إطلاق سراح
الشيخ بشاره الخورى وتفضل فمناه بعودته إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية
وهنا الشعب اللبناني بدفاعه عن كرامته ونضاله في سبيل حريته . وتشرف
اليوم بمقابلة جلالته زعماء المعارضة . فخرجوا من لدنه وهم يدعون لجلالته
بطول العمر في خدمة مصر المحبوبة .

قال الدكتور أحمد ماهر باشا : « ان أى لفظ لا يستطيع أن يعبر عن
الأثر العظيم الذى تركته هذه الزيارة في نفوسنا » ..

وقال الدكتور حسين هيكل باشا : « الشئ الذى سرنى بنوع خاص أن
الحالة المعنوية لجلالة الملك ليست أقل مما كانت عليه في أى وقت وجلالته
في كامل صحته . ولقد كان تفكير جلالته في بلده أكثر من تفكيره في نفسه » .
وقال مكرم عبيد باشا : « ليس في الدنيا ما يعدل شعور الشعب نحو
ملكه واهتمامه بصحته سوى عناية الملك بشئون أمته وتفكيره الدائم فيما
ينهض شعبه ويكفل تحقيق مثله العليا . . وحسب مصر فخراً أن يكون على
رأسها ملك لا تشغله الشواغل لحظة واحدة عن آمالها والعمل على تحقيق
هذه الآمال » .

وقال حلمى عيسى باشا « وكان حديث جلالته يشعرك بحبه لبلاده واهتمامه
بصالحاتها ولقد أثر هذا الموقف في مشاعرنا وإنه مما يثلج صدور المصريين
جميعاً أن يروا ملكهم وهو في حالته الصحية — أكمل الله له الشفاء —
يهتم بصالح مصر ولا يشغله شئ إلا هذه الصوالح . .

وامتلات القصاصين في اليوم الثامن بالمصاحف التى وصلت هدايا

لجلالته . . وحب جلالته للقرآن الكريم لا يعدله حب . . نسي ذات يوم أحد أساتذته فوضع كتاباً فوق المصحف فما كان من جلالته وكان أميراً حينئذ إلا أن رفعه وقال له : « إن كتاب الله لا يعلوه شيء » .

وكان اليوم يوم الأزهري . ووفد الأزهري على رأسه الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الذي قدم لجلالته تحية الأزهري « لقد تجمعت قلوب الأزهري حواك وسرى بدل الدم في عروقها حبها لك مما جعلها تضطرم لجرحك متمنية لو كان في شغافها بدلا من أن يكون في ظفرك . . وها هي ذى جموعهم التي سابت الريح إلى مشفاك . داعية الله الذي حرسك ورعاك . . أن يلطف بشعبك ويسبغ عليك قواك . .

وكان اليوم التاسع كالعاشري كالحادي عشر كالثاني عشر . . شعور الوفاء ينمو ويزداد . . ومحبة الملك لشعبه والشعب للملك غدت مضرب الأمثال في كل البلاد . .

انتوى بعض الخيرين أن يرفهوا عن الفقراء والمحتاجين بمناسبة فضل الله على الشعب المصري الأمين فقال جلالته : ان أحب شيء لقلبي عمل يكون من ورائه الترفيه عن الفقير والمحروم . .

وبلغ جلالته ما فعله سعادة محمود شاكر باشا من العمل لراحة كبار الزوار فقال : « أنا يهمني راحة الصغار قبل الكبار . . » وأبى جلالته أن تتحمل خزائن الدولة مشقة الاستفسار عن صحته . . فأعجب لرحمته بمالية الدولة وهو كل شيء في الدولة . .

وأصيب في الزحام الطالب أحمد محمد عبد العال ونقل توأ إلى المستشفى العسكري وتفضل جلالة الملك فأرسل اسماعيل تيمور بك للاستفسار عن

صحته فرجاء الطالب في أن يقبل بالنيابة عنه يد المليك . وقال إنه لم يعد يشعر
بألم بعد أن تفضل المليك بالسؤال عنه . وبقى معه أحمد مدرسي مدرسته
للعناية به . . وأمر المليك المحبوب أن يستريح المدرس في استراحة كبار
رجال القصر . . . وشفى الطالب سريعاً بعد أن رعته يد الله . . . وخففت
عنه ديمقراطية الفاروق . . .

وشخص في اليوم الثالث عشر إلى جلالته وفد لبنان ، رافعاً باسم
المصريين المتحدين من أصل لبنان واسم جميع اللبنانيين في أوطانهم ومهاجرهم
إلى حضرة صاحب الجلالة ملكهم المحبوب فاروق الأول آيات الإخلاص
مشفوعة بأسمى عواطف الشكر على ما حبا به جلالته لبنان من عطف ورعاية
ويسألون الله تعالى أن يمن على جلالته بالشفاء العاجل وأن يحفظ ذاته
الكريمة ذخراً لمصر ونخراً للعرب أجمعين .

فكان رد جلالته السامي : ه إني مع لبنان إلى النهاية . . . ه فياله من
رد عظيم . . .

وكذلك كان اليوم الرابع عشر إلى اليوم الثاني والعشرين . . . حتى
غدت مظاهرات القصاصين أحداثاً الدنيا بأسرها . . صحف العالم . . محطة
إذاعاته . . . لا تتحدث إلا عن القصاصين . . وساكن القصاصين .

أحصى أحد الضباط الإنجليز زوار الملك بمليون نفس وكان في إحصائه
من المتواضعين .

وبلغت أموال الخير التي تبرع بها أهل الخير حداً لم يكن يتصوره أي
إنسان . . مطاعم تنشأ هنا وهناك . . مستشفيات تشيد هنا وهناك . . مجموعات
صحية تقرر هنا وهناك . . مما يحتاج ذكره إلى مجلدات ومجلدات .

طوبى لك يا شعب فاروق هذه الأعمال الصالحات الباقيات الخالدات .
واستعد ذات يوم الرئيس روزفلت حين إقامته بالقاهرة لزيارة الملك
في مستشفى الناثى لولا أن أصيب ببرد شديد . واستفسر تشرشل عن صحة
جلالة الملك . . وشكره أحمد حسنين باشا بالنيابة عن الملك .

وقال شانج كاي شيك رئيس الصين : « لى معجب بملك مصر وأتمنى أن
أراه وأن يزور جلالته الصين عند ما تستقر الأمور » .

ورأى الرئيس عصمت أيتونو لزماً عليه وقد جاء مصر أن يزور
القصاصين لتحية الملك الصديق .

وأبى وفد من الجنود السوريين واللبنانيين أن يبرحوا القصاصين دون
أن يزوروا الملك . وضحك الملك واستدعاهم وشكرهم وحييا انشعور الجميل
فيهم . قال أحدهم : « لقد حضرت كثيراً من المعارك بفرنسا سقطت حولى
القنابل فلم أشعر بالرهبة التى أحسست بها وأنا مائل أمام الملك » .
تلك هى أيام القصاصين الغراء التى ليس بعدها من أيام غراء .

٢٢ يوماً في القصاصيين

المستاذ أمين فريزيم بديوان جلاله الملك

كاتب هذا المقال ، الأستاذ أمين فهمي ، السكرتير بديوان جلالة الملك كان أحد ثلاثة قضوا في القصاصيين ثلاثة أسابيع وقد كتب هذه الكلمة عما رأى وشاهد :

في الطريق الضيق الذي يشق الصحراء ، ويلتوى تارة ويعتدل أخرى في الفضاء والخلاء ، وحيث انطلقت السيارات ، انطلق من السماء شعاع الرحمة ، ونزل على الأرض لطف المولى ، ووقفت عناية الله بين الحادث ونتيجته ، وحالت رعاية الرحمن بين الشر والخير فالتفتت نفوس في هذا الفضاء الخلاء . فاذا الملك كله لله ، ولعناية الله ، ولفضل الله ، وإذا الممك الممقر من الآدميين عامر برسل السماء ، وعناية السماء ، وعين السماء التي لا تنام ...

وكأنما العناية أحبت هذا الفضاء الخلاء وأحبت من شملته في هذا الفضاء الخلاء ، فرأت أن يكون انقاذه في الصحراء وشفافه في الصحراء .

كان اليوم الأول ، وكانت النفوس يقيمها ويقعدها قلق الآدمي ، وعجز الآدمي ، واستعجاله للخير ، وضيقه بما لا يتفق ومراده وما يحب . غير أن إنساناً فهم في الألم سر الصحراء ولمس في جراحه يد السماء ، فسكن وهدأ ، وآمن فقوى على ما عجز عنه الآدميون سواه ، وانتصر على القلق والضيق والاستعجال .

طالع من رأوه في أول صباح ، فإذا التشجيع منه لا منهم ، وإذا السؤال عنهم يسبق سؤالهم عنه ، وإذا من جاؤه ليواسوه يحسون أنهم يأخذون ولا يعطون ويستفيدون روحياً ولا يفيدون ، وإن الجريح أقوى بإيمانه في هذه الصحراء الخلاء منهم جميعاً .

فلما اجتازت الشمس الأفق أول مرة ، ونقلت نسائم الصباح إلى أسماع هذا الراقد في سرير البسيط في الحجرة الصغيرة العارية أصوات أبناء وإخوان من العمال والزراع ، يرسلون إليه تحياتهم من بعيد هتافاً ونداء ودعاء ، يتكرر ويتردد لينوب عن أيدي لو مكنت لصاغت وصدور لو خبرت لهجت وعانقت . . .

امتلات الحجرة الصغيرة أنساً ، بل امتلات الصحراء الخلاء أنساً ، كان كل صوت من هذه الأصوات البريئة الخالصة المخلصة التي نسي أصحابها نفوسهم لينذكروا مليكهم ويدعوا له ويحيوه ، كان كل صوت يخلق في الحجرة الصغيرة وفي الصحراء المحيطة بها إنساناً مؤنساً ، ورفيقاً ساهراً ، وحبیباً تراه الروح وإن لم تقع عليه العين . . .

هم الإنسان الراقد أن يتحرك في موضعه ليحسب صوت قلبه ، ويرد تحية أحبابه ، تخالت دون ذلك أهوال من الألم ، فتنادى على بعض من يبابه ليفتحوا النافذة عسى أن يفهم دلالة فتحها أولئك الهائفون الداعون . وإن كانوا لا يفوزون بمراى وجه المشرق الراضى يطل عليهم منها .

لم يكن قد نام ليلته ، وكان من حوله قد قضوا ليلتهم ساهرين ساهدين ، فلما دخلوا عليه قرأ سهادهم في وجوههم ، فاشتغل براحتهم ، وأبى إلا أن ينظر كيف ينامون ، وماذا يأكلون في هذا المكان البعيد الذي نزلوا به

لحاجة ، وعلى غير استعداد . . .

ولم يلبث أن تقل هذا الإنسان الراضى المستبشر رضاه إلى كل نفس طالعت وجهه ، فاذا بكل خارج من غرفته الصغيرة ، من طبيب أو ممرض أو ممرضة أو خادم صغير ، تلمع في وجهه ابتسامة مشرقة مؤنسة مطمئنة ، ويغمره إحساس بأنه صادف لحظة حلوة من لحظات حياته وآونة جميلة يصح أن يذكرها فيما تعيش به النفس من اللحظات الجميلة السعيدة إذ لم يخدم هؤلاء ملكاً . ولم يدفعهم سحر تاج . وإنما تسارعوا بعد أن رأوه إلى إنسان يحبه من رآه . لأنه بمن يجب حتماً ، كائننا ما كان موضعه من الناس .

نقل هؤلاء ما رأوا إلى مرضى آخرين ، جمعتهم المستشفى بعد أن فرقت بينهم أسباب الحياة . فرقدوا في أسرة كسرير ذلك الإنسان ، وغرف صغيرة عارية كغرفته . فأحب هؤلاء زميلهم الجديد ، الذى أرادت عناية الله أن يكون ضعيفاً فى مستشفاهم ، فجعلوا واسطة التراسل والتخاطب بينهم وبينه مرضى المستشفى يحملونه بحياتهم إليه فيحملهم بحياته إليهم ويستفسر عنهم كما يستفسرون عنه ، ويخصصهم دون نفسه ، بما يقدم لساحته من باقات زهر أو عاب حلوى ، ليكون لهم منها رمز ماضى من العطف والمحبة وحسن الصحبة . ثم ها هو يتسم لمن يحدثه عن أمد رقاده ليحاول أن يظهره قصيراً غير طويل ، كأن الألم والرقاد عنده مجالهما الجسم وحده ، أما عقله ، وروحه ، وقواه الأدبية والنفسية ، فكلها حرة طليقة سليمة ، منصرفة إلى خدمة بلاده ، وأداء واجبه ، كملك ، ورئيس ، ووالد .

مضى اليوم الأول ، ولم يعد العزيز إلى قصره . فأخذ قلب مصر الخافق المضطرب يدفع نحو هذه البقعة النائية فى الصحراء الهامدة تياراً متدفقاً

غير منقطع من الأحياء الأوفياء من كل من استطاعت حمله قدمه أو دابة أو عربة أو مركب أو قطار .

كان العزيز موقناً أن شعبه يحبه ، لأسباب يدرك شعبه بعضها ولا يدرك البعض الآخر ، كان موقناً أنه يحب شعبه لأسباب بعضها مدرك وبعضها غير مدرك . ولكن حجم هذا الحب وكتلته وأبعاده كلها في كل اتجاه لم يكن قد تقصاها علمه ، أو أحاط بها يقينه إلا في أيام القصاصين .

تساوى في اللمفة السكل : السيدة التي تحتكم إلى قلبها ، والصغير الذي يعيش على حلمه والشاب الذي يستهدى مثله العليا في نور عواطفه المشبوبة ، والرجل الرزين بين معقوله ومنقوله ، السكل الذي علمته عشرات الماضى ألا يتحمس ولا يندفع ، والشيخ الفاني الذي لم تبق له الأيام ما يتحمس به أو له . . . كل أولئك عصفتم بهم اللمفة عصفاً ، لا تمييز فيه ولا تفريق . لم تكن لطفة عمياء ولا خرساء . . أدركت عظم الخطر الذي تعرض له الوطن ، وعظم النجاة التي فاز بها حين تعرضت حياة هذا الإنسان للخطر وحين فاز بالنجاة ، فترجمت هذا الإدراك بكل لسان ، واستعانت عليه بكل دلالة ، وبدت متفقة على غير اتفاق ، متسقة من غير تنسيق ، جميلة مؤثرة لأنها لم تتجمل ولم تستعد . .

واليوم الثاني يمضى ، والثالث والرابع والخامس . . والأيام تتوالى وتنقضى ، وسيدنا على بشره وصبره ، ووفود الخير والوفاء والولاء والمحبة لا تنقطع ، يزيدون ولا ينقصون ، داعين مستبشرين ، شيقين إلى رؤية صاحبهم ، فإن لم يتيسر فلا أقل من رؤية رئيس ديوانه ليحمل لسيدهم رسالتهم ، ويحمل رسالة سيدهم إليهم . ورئيس الديوان همنا في الصحراء في

بيئته ، لا يعرف الإعياء ولا الكلال ، لم يغادر موضعه إلا مرة أو مرتين ،
في عمل في القاهرة ، ومع هذا ففيه مرح وشباب ملحوظ هنا في الصحراء
غير معهود هناك في الحضر . كان أحدها ينقر باب حجراته الضيقة العارية
فيقطع حديثه في التليفون ، أو يضع قلبه ، أو يلتفت عن محدثه . فنقول
« وفد كذا . . » ، فيجيب « حالا ، حالا . . »

لم يكن هناك موضع لاستقبال الوفود ، ولم يكن في المستطاع إعداد
موضع مناسب ، لأننا كنا على نحو ما ضيوفاً . ثم لأننا كنا في مستشفى . وقد
شاءت مبالغة أهل المسكن في السكرم أن يعدوا للاستقبال خيمة ، صفت فيها
مقاعدما يستعمله المستشفى ، ووضعت في وسطها مائدة عليها دفتري ، وفرشت
أرضها بحصير أبيض . . فكانت هذه الخيمة ، الحجرة التي يستقبل فيها
عواد الملك في مرضه من أقاصى البلاد ، ومختلف البيئات . لا نفخخة ولا أبهة
وما الحاجة إلى النفخخة والآبهة في مقام اللهفة والمحبة والوفاء !!

لم يكن بد من أن يمر بي بعض الوافدين ، يحيونني على غير معرفة ، ظرفاً
منهم ، وأدباً ، فأعرض للسؤال ، وأحياناً للاستجواب : فهذا يسألني عن
السيارة التي وقع بها الحادث ، ما لونها وما مارككتها ، وهل أصبحت
لا يصلح ، وآخر يسألني كيف تلقت جلالة الملكة وجلالة الملكة الوالدة
خبر الحادث ، وثالث يسألني ما الذي حجب الملك في المقام في هذا المكان ،
ويميل على إنسان فيقول : « ماذا أكل الملك في هذا الصباح ، وآخر يجذبي
جذباً رقيقاً ، ظاناً أنني من أصحاب النفوذ ، فيقول لي : « إذا دخلت على
مولانا فسلم لي عليه ، وقل له سلامي إن شاء الله . . » وأحياناً تسكتسجني
نظرات شاب يحاذيني ثم يبسط أمامي ورقة بها شعر أو زجل أو كلمة أوحث

إليه بها المناسبة . . بل لم أسلم ممن يسألني من أنا . . وما عملي في هذا المكان وأشتق من هذا كله من كان يسألني عن أسماء كبار الموجودين وأحوالهم ، ومن كان يعرفني ببعضهم بغير ضرورة ، ليقول بعينه ذلك أنه تربطه بهم قرابة أو معرفة . .

لم يكن من كل ذلك بد لأن كل عائد لا يريد أن يرجع بما رجع به زملائه يريد أن يستزيد شيئاً شخصياً خاصاً ، ينفرد بعلمه أو بذكره أو بروايته . كان عملي مثلي ضئيلاً بطبيعة الحال . لكن لم يكن ليدع لي فرجة طول النهار ، وبعض الليل . وكنت أنام أحياناً في حجرة أشارك فيها ضابطاً عظيماً يقرأ قرآن الفجر ، فكنت أصحو على قراءته وأحاول أن أزن نفسي به ، فتشيل كفتي . .

كنا نأكل معاً في خيمة واحدة . . ولم يكن حديث المائدة طويلاً ، لأن العمل هناك لم يكن يسمح بالحديث الطويل . أما سمر الليل فكان متعذراً ، وعلى تعذره فقد استهلكنا في الأسبوع الأول كل ما نستطيع أن نتراواه أو نتطارحه ، فأخذ بعضنا يحس بالحاجة إلى الأخبار والجوع إلى أسباب الحديث .

لقد عود الله مصر أن يجيئها المنبه الروحي من الصحراء ، وقد جاءها هذه المرة قوياً دافقاً . ومن حق الملك على شعبه ، والشعب على ملكه ، أن تبقى هذه اليقظة في الشعور العام ، وأن تدوم ، لأنها إن دامت لن تقف في سبيلها عقبة ، وإن تستعصى عليها غاية .

يوم الفتح

... ودفعني قلبي المشوق وفؤادي المتلهف أن أذهب إلى القصاصين آخر يوم كيما أمتع نظري وقاي بمنظرها الماطمية ، وبآياتها الفاروقية ، ووطنيتها الشعبية المصرية . وكما أودع أهلها الذين استضافونا أياماً كنا فيها الأهل وكانوا هم الضيوف ، كانوا الزوار وكنا أصحاب البيوت . وكما أعود مسع الملك ، لأملاً جوارحى وإحساساتى ومشاعرى بمظاهر الود الربانية ، وبمعجزات الحب الوطنية ، ومظاهرات الشعب اللاتصورية ، التى هى هنا مهبط التفكير ومبعث الإلهام . وكنت أظن أن الجوع لن تذهب إلى القصاصين . بل ستنظر فى القاهرة ، لىكون مجال التطلع أكثر ووقت الرؤية أكبر . ولكنى كنت فى ظنى من الواهمين ، حشود أكثر من قبل ، وجوع أزيد من كل يوم ، وجهتها القصاصين .

ولاء لا ينقطع ... حب لا يفنى ... إخلاص لا يزول ولا يبلى ، يتجدد كل يوم وينمو كل ساعة ويكبر كل دقيقة . ذلك حال الملك مع شعبه . وذلك حال الشعب مع ملكه .

كانت آخر ليلة فى القصاصين سمرناها وقضيناها بجوار مستشفى القصاصين أسعد ليلة فى حياة الموجددين . وفى حياتى أنا الذى لا أعرف السعادة ، ولا أذوق الراحة . والذين يعرفون طبيعتى وفطرتى ، ومقدار عبوسى ونجهمى ، ومبلغ آلامى وأحزانى . والذين يقدرون فلسفة الألم فى نفسى ، وامتزاجها بدمى . والذين يستطيعون أن يقرروا دون حرج أو مغالاة أن اللحظات التى انبسطت فيها نفسى ، وانشرح لها صدرى ، وافتر

لها ثغرى ، عن ضحكات استمتحت دائماً فكانت بسمات ، قليلات معدودات .
والذين علموا منى وعنى أن المرات التى تخلّيت فيها عن همومى وأحزاني
تعد على أصابع اليد الواحدة مرة واحدة . والذين حاولوا بجهد الأبطال
أن يسروا نفساً كثيبة دائماً ، حزينه دائماً . ويهيجوا قلباً منقبضاً دائماً ،
باكياً دائماً كل أولئك كانوا ولا شك ينكرونى لو أنهم رأونى آخر ليلة
فى القصاصيين . كنت أغنى وأضحك . وألعب وأمرح ، وما عرفت السعادة
الحقة إلا ليلتئذ . وهذه النفوس التى قد صيغت من الحب فصارت حلوة
جميلة . وهذه القلوب التى قد صنعت من الإخلاص فأضحت طاهرة نبيلة .
ما كان أجملها وهى تهتف وتشكر ، وتبتهج وتسر . لقد أبى الجمع الحاشد أن
ينام . وكيف ينام ، وفى الصباح يعود الفاروق إلى عاصمة ملكه سعيداً ،
صحيحاً . ما ألد الوقوف والجلوس فى الصحراء على الرمال . وما أحلى ذلك
النسيم البارد العليل الذى كان يهب من الشمال تارة ومن الجنوب أخرى ،
فيملاّ النفوس الفرحة بعبيره ، ومسيره . وما أعظم ما كان يدور بنفوسنا
وخواطرنا حين ذاك . وما أشد شوقنا إلى مطلع ذلك الفجر السعيد ،
لذلك العيد . لكن ما أكثر دعاء آل القصاصيين بأن يطول الليل . وبألا
يطالع النهار . إنهم يريدون أن يكون الفاروق لهم وحدهم ، وكانوا فى
إرادتهم من الخاطئين . فهذه الملايين من الأنفس السعيدة بحب الفاروق
الهائمة بؤد الفاروق والتى هى أكثر الناس حباً ووفاء وإخلاصاً وولاء .
وما تشرفت برؤيته وما تمتعت بطلعه ، وما سعدت بحيرته . مارأوه وما
رآهم إلا فى حبه وحبهم ، وما حادثوه إلا بلغة قلبه وقلوبهم . ولكنهم
قريبون منه وهو منهم قريب . بالروح وبالفؤاد . مانمنا وربما مانام الملك .

أى شعور كان يملك جلالته ليلتئذ ؟ لقد زارته مصر بأسرها فى القصاصيين ، فليزرها هو فى غير القصاصيين . لقد استفسرت عنه فى كهنته الجديدة ، فليستفسر عنها فى بلادها البعيدة . قد سعت إليه فليسع إليها ، وهرعت إليه فلمهرع إليها .

وجاء الصباح بنور العزيز الفتاح . وأشرقت الشمس على القصاصيين قبل أن تشرق على الدنيا بأسرها بوقت وحين . وارتدى المليك الكريم حلته وصافح أطباءه وممرضاته . واحداً واحداً ، شكرهم وأثنى عليهم . وهم أحق بتقديم الشكر ، والثناء . وأذن مؤذن العودة فانطلقت الحناجر مندوبة صاحبة ، مودعة داعية ، حامدة شاكرة . بالإنجليزية وبالعربية ، وبغير اللغات الحية . بلغة القلب الوجدان . وسار الركب الميمون فى رعاية الله حتى محطة القصاصيين . ونادى المنادى فى سماء القصاصيين أن — افرحى يا مصر ، وابتهج يا نبيل . فتماروقك قد عاد سليماً إليك . وزغرد القطار مؤذناً بالرحيل . فإذا أدمع تنهمر ، وإذا مآق تمتلئ ، وإذا قلوب تبتكى ، وكل ذلك فى لغة الدنيا هو الوداع . وما أمر الوداع ، بل ما أمر وداع أهل القصاصيين . ذبائح تسحر فلا تجد من يأخذها . لأن الفتمراء المحتاجين . آثروا رؤية الملك وتوديع الملك على البحث عن أقواتهم وأقوات عيالهم . والمرضى ذوى الجروح الخطرة قد آثروا أن يداووها برؤية العاروق وتوديع العاروق . وابتدأت القافلة الملكية تسير ، وترامى الناس أمام القطار يحاولون سبقه أو منعه . لا يريدون أن يتركوا العاروق . . . لست أستطيع أن أصف الطريق من القصاصيين إلى القاهرة لأننى لا أريد أن أرتكب جريمة كبرى إن حاولت الوصف . طريق بشرى لا أكثر ولا

أقل . يسمع المليك دعاءه ، ويرى الفاروق ولاءه . مكنوناً في الهتاف .
مبشوراً في الدعاء ، كل حركاته ونظراته تنطق بالحب . وكل أنفاسه وخلاجاته
تمتزج بالحب . أيد تهتز ، وأعناق تمتد ، وقلوب تصفق ، وأفئدة تزغرد .
وهنا القاهرة . . . كل ما في القاهرة يحيي الملك ويبارك شفاهه ، وكل
من في القاهرة وغير القاهرة على شوق أحر من الجمر للقاء الملك ، وتحيية
الملك . . . تحياتها هتاف ودعاء . وأناشيدها شكر وثناء ، يمتزج في كل منها
بجد مصر ، والاعتزاز بناضيها ، والثقة بحاضرها ، والرجاء في مستقبلها .
وتستيقظ القاهرة على أروع الأناشيد وأمتعها ، وأجملها وأبدعها ، عاش
الفاروق . بارك الله في الفاروق ، إني لأؤشك أن أضع القلم جانباً كي لا
أخرج نفسي بوصف هذه المظاهر . . .

القاهرة . . . ما أشد ما تخيرت القاهرة . شعور فياض مارأته القاهرة
من عهد جوهر ، بل مارأته مدينة في الدنيا بأسرها . قبل جوهر أو بعد
جوهر . أمة تجمعت في مدينة ، وشعب وجد في عاصمة ، ومصر احتوتها
قاهرة أرأيت الموج المتدفق المتسلاطم الذي تدفعه الرياح الهوج نحو
الشاطئ . أرأيت السحب الممطرة وقد غدت تنهمر بلا انقطاع ، وتنصب
بلا توقف . ثم أرأيت القلوب الطاهرة النبيلة وقد تخلصت من كل قيد
وانطلقت وسجيتها وفطرتها . والنفوس الفرحة المستبشرة التي تقفز هنا
وتلعب هناك . وتجرى من هذا الميدان لكي تحتل هذا الميدان . كل ذلك
شبيه بما جرى في العاصمة يوم عودة فاروق إلى العاصمة ، لقد كانت القاهرة
كالأمواج في كثرة ورودها . والسحب في تعدد وفودها .
فوق الأشجار ونحت الأشجار . . . فوق السطوح وتحت السطوح .

فى الشرفات والفرندات : فى المقاهى والملاهى . الأشجار لكثرة ما تحمل
وكثرة ماتظل توشك أن تسقط . والمنازل لكثرة ماحوت واحتوت تكاد
تنقض . لم يعبأ الناس بقانون الملكية فاعتلوا السطوح . ودخلوا
المنازل . ولم يهتم الشعب بالتقاليد فوقف الباشا على إفريز الشارع .
واحتل الفقير شرفة السكونتنتال . التى وضعت بالأمس جاءت لىرى
الملك . والذى يحتفل اليوم بعيد ميلاده العشرين فوق المائة ، جاء ليبارك
الملك . والذى أنهكه الجوع أياماً وليالى جاء ليتغذى برؤية الملك ، والذى
مازال جرحه يدمى من جراء العملية جاء لتشفيه طلعة الملك . والذين جاؤا
إلى العاحدة من ضواحيها وشتى نواحيها ، أبوا إلا أن يقضوا وقفة العيد فى
شوارع القاهرة للقاء الملك ، والطلبة الذين كانوا فى انتظار الإجازة ليقضونها
بين أهليهم وذويهم . قد تأخروا فرحين مسرورين لرؤية الملك ، والعمال
الذين يشتغلون باليومية وكانوا أحق الناس بهذا اليوم لقرب العيد ، قد
نسوا أعمالهم ليشتبكوا فى استقبال الملك . الشعب كله قد جاء فرحاً مرحاً ،
يرقص ويغنى ، ويهتف ويدعو ، ويخيل كل مكان فى الشوارع بهيجة .
عندما رأى الشعب الملك واقفاً فى سيارته يحببه كعادته . خفق قلبه بالحُب
وفاضت نفسه بالولاء ، وانطلقت أسننته وقلوبه تجأر بالدعاء . القلوب التى
ما فرحت فرحت ، والنفوس التى ما ابتهجت ابتهجت ، والشفاه التى
ما ابتسمت ابتسمت . وأبت السماء إلا أن تشترك مع الأرض فى الابتهاج بيوم
العيد السعيد ، فطار رجال سلاح الطيران المصرى الملكى لىكى يحتفلوا
بعودة مارشاهم العظيم . . . فأظلموا ركابه من الشمس . وامتزجت دقات
القلوب بأزيز الطيارات ، واختلطت الباراشوتات بالهتافات الصاعداً .

وشاهد تشرشل وإيدن وبعض أعضاء مؤتمر طهران هذا الحب وهذا الإيمان ، فعلموا حقاً أن محبة الفاروق لشعبه لاتعادلها إلا محبة الشعب لفاروقه . وعرف تشرشل صوت الشعب وفهمه لأن صوت الشعب كما قال معروف في كل لغة ، وصرح بأن مثل هذه المواكب لم تحدث إلا في يوبيل الملك جورج الخامس .

وفي الطريق من القبة إلى عابدين كان الشعب في سكرة الطرب التي لاتعرف نهايتها وإن كانت تعرف لذتها . وفي فورة الحماسة التي لا يفهم درجتها ولكن يفهم قوتها . وفي ثورة العواطف الجنوبية التي لا يدرى مبلغ ثورتها وإن كان يدرى مقدار عظمتها .

وفي سراى عابدين العامرة اختلط الحابل بالنابل . والوزير بالحفير . والغنى بالفقير . والأجير بالأمير . فكانت ديمقراطية ما أجملها وما أنبلها . وما أعظمها وما أفضلها . وظل القصر في هذا اليوم وما بعده من الأيام مسرحاً للعواطف ، وكعبة للقصاد . أقوام تذهب وأقوام تجيء ، أمم تغدو وأمم تروح . أقطاب الأمة ووزرائها وزعمائها ، يفرحون ويمرحون ، لاختلافات ولا حزازات .

هنا في ساحة الفاروق . القلوب تهدأ ، والنفوس تصفوا ، والضمائر تزكوا والأفئدة تسموا . وحدة وإخاء . تفان وفداء ، تضحية وولاء ، هتاف ودعاء . « الله راعيكم ، والقرآن حاميك ، والشعب يهنيك ، والكل ينديك . . . يا فاروق . . »

وأخيراً . . . العودة إلى القصاصين

ويأتى كرم المليك إلا أن يكرم القصاصين سلباً معافى كما كرمها جريحاً مريضاً فعاد إليها وعادت الأمة معه . وتفضل المليك كعادته دائماً فى التفضل بوضع الحجر الأساسى لمجموعة الصحة بيده الكريمة . التى ساهم فى إنشائها مجلس مديرية الشرقية ووزارة الصحة العمومية والجمعية الزراعية الملكية وأفراد شعبه المخلص الوفى تذكراً لسلامة جلالاته فى حادث يوم الاثنين ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٦٢ هجرية — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ميلادية . وتفضل كذلك جلالاته مرة أخرى فوضع الحجر الأساسى لمسجد فاروق الاول . شكراً لله على شفاء جلالاته وأثراً باقياً لإقامة جلالاته زمناً فى تلك البلدة . وكان جلالة الملك قد تفضل فى ١١/١٢/٩٤٣ بالإنعام السامى على أطبائه وممرضيه وممرضاته فى القصاصين وقد تفضل بمناسبة العودة فأنعم على مدير الشرقية وعلى عمدتى القصاصين بما هم أهل له .

وبعد عام . . .

ويمر عام على يوم القصاصين فاذا البلاد جميعها من أقصاها إلى أقصاها تحتفل بهذا اليوم فيجود الخيرون بأموالهم على الفقراء والمرضى وإذا بالحكومة الماهرة تحتفل هى الأخرى احتفالين كبيرين لهما مغزاهما ومعناهما فتهب يوم المستشفيات وبعض المؤسسات الكبرى هبات مالية كبيرة . وتقيم فى الأوبرا احتفالاً لائقاً بهذا اليوم الذى نجي الله لها فيه فاروقها . وإذا بهذا اليوم تتحقق أحقيته فى الخلود وتثبت مكانته فى التاريخ فيصير عيداً شعبياً قومياً هو غرة الأعياد .

صوت المرأة المصرية

المرأة عامة والمصرية خاصة رقيقة الإحساس . سريعة التأثر . ملتهبة العواطف . متوقدة الشعور . لا تعرف كيف تخفى الحب إذا أحبت . ولا تعرف كيف تضبط عواطفها إذا تأملت . هي كتلة من العواطف الثائرة الجياشة . التي لا تعرف في حبها قيوداً أو سدوداً . وهل لدى المرأة المصرية من القدرة ما تتحكم به في عواطفها . إذا جرح الفاروق . كلا . لقد تملكها من الجزع والفرع والهلع ما لا مثيل له . لأن حب المرأة المصرية للفاروق لا يعدله من حب في الدنيا سوى حب الفاروق هذا . أثرها وفضلها . واختار شريكه حياته من فتيات شعبه المقيم بحبه . شجعها وعصدها وأخذ بيدها وافتخر بها في كل مجال . واهتم بقضيتها كل الاهتمام . وعاونها في جهادها العلمي والأدبي والصحي والاقتصادي معاونة جعلها تنجح في جهادها ، بل تصل إلى ذروة النجاح فيه .

ولو أنني حاولت أن أذكر ضروب التشجيع والتعظيم التي لاقتها المرأة المصرية من لدن جلالته لاحتجت إلى كتاب أو كتب في حجم هذا الكتاب . وحسبي أن أشير هنا إلى أيام فاروقيات خاليدات كانت المرأة المصرية سعيدة بها كل السعادة مبهجة كل الابتهاج كتلك الأيام التي قضاها جلالته في الصعيد بين المرضى والممرضات .

وفيما يلي مقالين اخترتهما لاستاذتين فاضلتين من عشرات المقالات التي وصلتني ، والتي حال ضيق نطاق الكتاب عن نشرها . ولا شك أنهما خير من يعبران عن أثر حادث القصاصيين عند المرأة المصرية ،

الفاروق الرجل

الحكمة القوية الاستاذة مفيدة همدان

لا أظن أن ملكاً من الملوك — بالغاً ما بلغ من الديمقراطية والطف على الشعب ، والحدب على الفقراء والمعوزين — قد سكن في قلوب رعيته ، وملك مشاعرهم وتفكيرهم بالقدر الذي بلغه «فاروق» من محبة شعبه وتقديره . ولم يقف حب شعبه له عند حد الطاعة فحسب ، بل تعداه إلى حد الائتئان والجنون ، وقد قذت الله تعالى حبه في كل قلب ، وذكره على كل لسان . فلا ترى شيخاً إلا يهتف باسمه ، ولا كهلاً إلا يدعو له ، ولا شاباً إلا يسعى لاجتلاء طلعتته ، حتى الأطفال الذين لا يكادون ينطقون ينطقهم الله تعالى بقول : «يعيش الملك الصالح» . وهكذا أراد الله تعالى للفاروق أن يحبه أهل الأرض ، وهذا دليله على حب أهل السماء ، فسبحان من خص من شاء بما شاء .

إن عدة عوامل تعتمل في صدورنا من ناحيته ، فترانا نجله كأب ، ونحبه كأخ ، ونحنو عليه كإبن ، فانظر رعاك الله إذا ما فوجئت بنبا إصابة إنسان قد تركزت فيه سائر عواطفك ، من حب وإجلال وحنو ، فكيف يكون حالك ؟ لقد اضطربت الأفئدة ، وخفقت القلوب ، وأظلمت الدنيا على نورها ، وصاقت على سعتها ، وأصبح للشعب المصري عن بكرة أبيه في رعب وهرج كالرعب والهرج اللذان وصف بهما يوم القيامة .

لقد كان سائر أفراد الشعب يضحون بأوقاتهم وصحتهم ، بل وبحياتهم في سبيل الاطمئنان على مالكم ومالكهم ، وقد انتقل الشعب

عن بكرة أليه ذرافات ووحداناً إلى القصاصين ليسمع صوت المليك ،
ويسمع المليك صوته . وقد عانت الأمة في سبيل ذلك ما عانت ، ولاقت
مالاقت ، وهى فى كل ذلك راضية مرضية ، ترى العذاب عذباً ، والتعب
فى سبيل من يسهر لنام ، ويسكد لننعم ، ويتعب لنستريح .

لقد منعنى ظروف صحية من أن أذهب لأقوم بفرض السؤال عن
صحته الغالية عن ككشب ، حتى فكر معالى مكرم باشا فى الذهاب إلى
القصاصين على رأس وفد كبير من المحامين . وقد شرفنى معاليه بأن دعانى
إلى صحبته ، فلبيت مغتبطة مسرورة . ولكن (ما كل ما يمتنى المرء يدركه)
ففى اليوم المحدد للسفر ، بل فى الساعة الموقوتة لقيامنا ، رزقت بمولود
فأسميته فاروقاً ، تيمناً بالفاروق العظيم الكريم .

فما حانت الساعة الثامنة من صباح يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣ ، حتى
دق جرس التليفون ، وإذا بمعالى مكرم باشا يستحثنى للنزول ، فأخبرته
بما كان . فهأنى وذهب إلى القصاصين مع وفد المحامين يستبقون الفضل ،
ويسعون إلى نيل أكبر شرف يطمح إليه إنسان ويعد به .

وقد أبى فضل الفاروق ومحبة لشعبه ، ورأفته بأمرته ، إلا أن يعود
سريعاً قبل إبلاله من اعتلاله ، ليشفى قلوباً مرضها طول الانتظار ، ويطنىء
لهيباً أشعله قلة الاصطبار .

وكم أشاع المرجفون — قاتلهم الله تعالى — حول آلامه ، والقلوب
فى هلع ، وزادوا فى وصف إصابته ، والنفوس فى جزع . فلما علم بذلك
— حفظه الله — أبى إلا أن يراه أحباؤه وأصفياءه قائماً على الأقدام ، غير
مبال بما يناله من تعب وإيلام . فتمتع بحب شعبه ، وتمتع شعبه بحبه .
عاش الفاروق فى حى مصر ، وعاشت مصر فى حماه !

الفاروق الحبيب

للرواية الفاضلة السيدة هولييت هافيل ثمر

... وهكذا أبى القدر أن يترك قلباً مثل قلبي بلا حب يشغله .. أو
عشق يذهله ... فأحببت الفاروق .. بل عشقته .. بل تسمت به وكان
ذلك منذ أن كنت فى رياض الأطفال ... كنت أجد اللذة فى الاحتفاظ
بصوره ، وفى الاستماع لأحاديث ديمقراطيته التى كان يتغنى بها الناس
معجبين بها ... أما يوم القصة حين .. فما أمر - على نفسى - ذكره أو
تذكره ... وإن أنسى يوم دخل والدى حجرة نومي وعلى وجهه
سيما القلق والفرع .. وقال دوين أن يخصنى بحية الصباح التى عودنى إليها
.. لقد صدمت سيارة الملك ، لا أقول كانت للخبر وقع الصاعقة ...
فالإنسان إذا ماصدق مات وفقه كل شعور ، ولكنى كنت فى تمام شعورى
.. وطفقت أبحث فى الأهرام والدموع تتساقط من عيني بغزارة شديدة
وتخرج من فمي حشرة لا يفهم من يسمعها إن كانت كلام إنسان أو صوت
طائر يريد أن يتخلص من سجنه ليطير إلى حيث يريد ... أقرأ كل سطر من
الخبر مثني وثلاث ورباع ... وبالرغم من أنني كنت قد صليت فجر هذا
اليوم .. توضأت وصليت ودعوت وتوسلت إلى الله بحرارة وإيمان دونها
من ترى أسرتها جميعاً من الجدة والجد إلى أصغر شقيقة وشقيق . تحتضر
فى لحظة واحدة ... كي يحفظ الفاروق برعايته .
وفى التو كنت أقود بنفسى سيارتى إلى القصاصين .

وهداني الله إلى القصاصين . . . ورأيت نور ضيفها العزيز . . . فعرفه
قلبي الذي لا يخطئه نور الفاروق ولا مكان الفاروق . . . عرفه قلبي قبل
أن تعرفه عيناي . . . لقد كان الزحام شديداً جداً . . . فزاد ذلك من
حقدي على المتزاحمين لأنهم سبقوني . . . فحبي للفاروق الحبيب لا يضارء
حب في العالم كله . . . بل إنه لو تجمع حب الامومة والابوة والبنوة وكل
حب في قلوب أهل الأرض طراً لمسا تجا مرت كتلته أب تقب أمامي
وإخلاصي . . . ذلك هو يقيني واعتقادي . . .

وقفت مع الجمع الحاشد أسمع ولا أسأل ، لأنني كنت أود أن أكون
مسئولة لاسائلة . . . كنت أود أن يسكون الجرح في قلبي وحشاي . . . كنت
أود أن أفتديه بروحي . . . كنت أخشى أن يسألني أحد الصحفيين عن
شعوري وعن سرعة حضوري فلا يسعفني عقلي أو تفكيري . . . وعدت
بعد أن اطمأننت وزرت المكان الذي وقع فيه الحادث وكدت ألبس
الأرض ، بل لو كالب في الإمكان احتضانها لاحتضنتها بكل قواي . . .
واكتفيت بحفنة من ترابها الذي لمسه جلالته . . . وتذكرت حب إخوان
المسيحيين للصليب . . . وقد صلب عليه المسيح . . .

. . . رجعت إلى المنصورة التي لم يشرفها مولاي بزيارته ، ولم أتم تلك
الليلة . . . صرت أتخيل الفاروق الحبيب نائماً في سريره الصغير يتألم ولا
يشكو . . . الملك المحبوب في حجرة العمليات لا يفكر إلا في شعبه . . .
وجمعت صور جلالته ونسقتها وركعت أمام واحدة منها ، أسألتها وأناجيت
وأحدثت فيها بجنون . . .

وقلت في نفسي أخيراً أن من يؤمن بأن المصحف هو الذي باركه وحماه

لن يسه ضير أو شر . . . وقت إلى مصحفى الكبير وهو أعز ما أملك ،
وجلدته وطرزته وكتبت عبارة الإهداء التى تمنيت أن تكون بدمى على
عظمى . . . وفى الأيام العشرين كنت صورة مجسمة للألم والحزن . . .
وكنيت أنا التى أربأ بنفسى عن أن أحسد أى مخلوق ، أو أغار من أى عظيم .
أحسد هؤلاء الذين يتألمون ولا يكون . . . ويحزنون ولا يشكون . وأغار
من كل ذهاب إلى القصاصين ، ومن كل عائد من القصاصين ، بل وكل
مقيم فى القصاصين . . . لطالما تمنيت أن أكون طبيبة أو ممرضة ، أو
مريضة حتى ولو بأشد الأمراض فتكا . . .

ولما أراد الله للفاروق أن يعود إلى عاصمة ملكه السعيد . . . أطالمت
العنان لتمايى كى يفرح ، ولروحى كى تفرح ، ولفؤادى أن يطير إلى حيث
الفاروق يسير . . . ورأيت وأفقاً وسط عربته يحى بكلتا يديه أمتة ، فهتفت
ودعوت ، وحمدت وشكرت ، وعدت إلى بيتى جزلة طروبة لأن أملى قد
تحقق ورجائى قد أجيب ، وبمجموعة الصور قد اكتملت . . .

والشخص الذى أحبه كثيراً هو رفعة أحمد حسنين باشا الذى أجله وأغار
منه لأنه دائماً قريب من الملك حبيب إلى الملك ، ليتنى كنت جزءاً منه .
وأحب شىء إلى نفسى هو أن أرى الملك فى كل وقت حتى إننى أتمنى
أن أشتري ما يحيط بسرارى عابدين من منازل لى أحظى دواماً برؤية
الفاروق مثنى وثلاث ورباع فى كل يوم بل فى كل ساعة لو أمكن . . . إنى
سأضطر إلى وضع القلم حتى لا آخذ حيزاً كبيراً من الكتاب . . . لأننى
لو تركت نفسى على سجيته وقلبى على طبيعته لما كفتنى أوراق العالم ومداده
لشدة إخلاصى لمولائى . . . عاش الفاروق لمصر وعاشت مصر للفاروق .

صوت الصحافة المصرية (١)

للصيرفة فراطمة البرسقف صاحبة مجلة روز اليوسف

في مساء ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤ كنت بدار حزب الاحرار الدستوريين
ورجاءة احسست باضطراب نمساني واهتزاز شعورى . علمت بعدهما أن
الفاروق - أبقاه الله ذخراً للوطن - قد أصيب في حادثة بالقرب من
القصاصين . . . لم أتمالك حواسي . . . ولم أستطع أن آتي أية حركة سوى
أننى أمسكت التليفون وطلبت كبار رجال القصر كي يطمئن قلبى . . . فلما
قيل لى إن الحادث قد تداركته رعاية الله ثبت إلى رشدى . . . وعاد إلى
صوابى . . . وعدت أفكر من جديد بعد ما سلبت القدرة على التفكير . . .
فى الحادث ولا شيء سوى الحادث . . . ومكنت طوال المدة التى قضتها
جلالته بالقصاصين أتبع بخوف ووجل نتيجة الحادث . . . وأتبع بشوق
واغتياب ولام الشعب باليه ، وتعلقه بفاروقه . . . وابتدأت من جديد
أفكر فى رأى لى نتجته عقيدة . . . ذلك أننى فكرت منذ زمن طويل فى
أن أكتب إلى الملك خطاباً أطلبه فيه بالألا يقوم بنفسه سيارة أو طائرة . .
ذلك لأن لى نصيباً فى الملك وأنا أطلبه بمالى من حق فيه . . .

وأنسانى يوم عودة الفارق كل آلامى وأحزاني ، فما كدت أراه واقفاً
وسط عربته . . . يحى بيديه أمته . . . عاد إلى شبابى فانطلقت أصفق وأهتف
وأدعو تصفيقاً وهتافاً ودعاء كان معجزة من معجزات الحب الفاروقى . . .

(٥) تفضل أساتذتنا وأصدقائنا الصحفيون ، فكتبوا إلينا عن أثر حادث القصاصين فى نفوسهم كل على طريقته فشكراً لهم .

كلمة

الاستاذ محمد خالد صاحب ورئيس تحرير جريدة المستور

ما ترك السكاتبون عن يوم القصاصين شيئاً يقال ، ولا غادر الشعراء فيه من متردم . ومبلغ الأمر فيه أن العناية الإلهية التي اختص الله بها كنانته قد تجلّت بأبلغ مظاهرها في حادث القصاصين ففي الساعة التي رجّت فيها البلاد بنبأ هذا الحادث ما لبثت أن ترنحت سروراً بحمّل عناية الله وكريم لطفه إذ سبقت البشرى بالنجاة الروعة من الحادث ، وهكذا رأت الأمة المصرية رأى العين تأويلاً جميلاً ومظهيراً صادقاً للمشئ السائر « قدر ولطف » . ولقد جاء هذا الحادث في زمن محنة للأمة وامتحان لشعورها ، تراكت فيه الظلمات بعضها فوق بعض ، وتلاقت السكوارث زمراً في إثر زمرة ، وامتد الليل حتى كاد يؤسس من طلوع الفجر ، واشتد العسر حتى أوشك أن يقضى على توقع اليسر ، وتلفّت البلاد يئمة ويسرى وتحركت الألسن بالدعاء تضرعاً وخفية فلم يكن هناك موئل للرجاء ولا معاذ للأمل غير حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله .

في هذا الوقت العصيب وتحت هذا الضغط الشديد ، وبين هذه المحن الفاشية والفن القاسية سار نبأ حادث القصاصين في البلاد .

ولكن كان من لطف الله بمصر أن اقترن بالسلامة ، وعرف مصحوباً بالنجاة فازدوج الأسف بالشكر . واستزجت الزرعة بالحمد . والله الحمد أولاً وآخراً .

ترجمة نفسانية

لدرستاف ما فظ محمود رئيس تحرير جريدة الميمنة

كان يوم القصاصين هو يوم الخلد للشعور المصرى الفياض بمعانى الحب كلها نحو ملك وادى النيل « فاروق الاول » .

فقد قيل قديماً : « رب خسارة نافعة » ولقد كان الضرر البدنى الذى أصاب صاحب الجلالة الملك المصرى فى يوم القصاصين سبباً فى ربح كبير لنفسية هذا الشعب ، الذى ظهر إخلاصه للفاروق إخلاصاً ليس فوقه إخلاص ، وليس دونه من حائل بين الملك وشعبه .

كان لابد لفيضان هذا الشعور من حادث ، وكأن مولانا الملك أعزّه الله قد أبت وطنيته إلا أن يقي بنفسه مصر شر الحادثات ، فتعرض هو لهذا الحادث الذى فتح السدود لتدفق الفيضان النفسى من شعب إلى ملك . ومن ملك إلى شعب . وعلم الله جلّت قدرته أن هذا الحادث ليس إلا امتحاناً للحب المتبادل بين أمة وملكها ، فوقاه شر هذا الحادث وبرأه من آثاره ونتائج . . وعاد الملك بعد بضعة أسابيع إلى مقر ملكه أكثر قوة وأكبر فتوة وأكثر حياءً عن ذى قبل .

هذه هى الترجمة النفسانية للحقة ليوم القصاصين ، وإنى لادخل فى حساب ذلك اليوم جميع الأيام التى مضت وصاحب الجلالة الملك بمستشفى القصاصين . ذلك لأن هذه الفترة كلها كانت فترة من فترات التاريخ المصرى ذات أطراف وحدود واحدة ولون واحد ونغمة واحدة ، كأنها اليوم الواحد .

أجل لقد مشى هذا اليوم بطوله على الأمة المصرية بجزعها على الملك الحبيب . لكنها ما كادت تهرع إليه في بقعة القصاصين كما يهرع الجميع إلى البقاع الطاهرة حتى اطمأنت إلى أن للفاروق ولوطن الفاروق رباً ينقذ لمصر من أنقذ تاريخها الحديث .

أقول إن الأمة المصرية هي التي كانت تهرع إلى القصاصين حيث لم تبق في مصر جماعة ولا طائفة ولا شخصية عظيمة لم تشخص إلى هناك ، إن لم تمثل في جماعة الذين كانوا يعودون ملبسهم كل صباح وكل مساء . لقد ازدحمت الطرقات إلى القصاصين من الشمال ومن الجنوب ولم يبق في الطريق موضع لإصبع لا لقدم ، ومع هذا كله فقد كان ضمير الأمة يرى أن هذا كله قليل لما يستحقه الملك المحبوب .

هذه هي الصورة السرمدية ليوم القصاصين وإنه ليوم في التاريخ عظيم .

من ذكريات يوم القصاصين

للمستاذ محمد علي ناصف

يوم القصاصين يومان : يوم مغبر الوجه ، هو يوم وقوع الحادث ،
ويوم مشرق ميمون الطالع ، هو يوم عودة الفاروق لعاصمة ملكه السعيد ،
وتربطني باليوم الأخير ذكريات قد يقف القارىء منها على شيء جديد .
في ضحى ذلك اليوم وكان الأستاذ رئيس التحرير غائباً عن القاهرة ،
اتصل بي — وأنا في مكنتي بجريدة الدستور — موظف مسئول بقسم
النشر في وزارة الداخلية وقال إن لديه خبراً مهماً هو أن حضرة صاحب
الجلالة الملك أجل عودته عدة أيام — أظنها عشرة — بناء على مشورة
الاطباء . وكان وقع الخبر ثقيلاً لم أحتمله ، ولكن بعض الظروف التي
كان يعرفها ويقف على تفاصيلها بعض الذين وجدوا في محيط السياسة
وأجوائها جعلتني أرجح كفة الشك فاتصلت بالقصر وطلبت الكلام مع
أى رجل مسئول يوجد به لأمر خطير ، وبعد لحظة كنت أتحدث مع
سكرتير خاص حضرة صاحب الجلالة الملك ، وأسرد له تفاصيل الموضوع
فقال لى إن الخبر كاذب من أساسه ، فرجوته أن يتصل القصر بجميع
الصحف وبمحطة الإذاعة وبجميع الأوساط الممكنة ليقتل هذه
الإشاعة .

وقلت الإشاعة في مهدها ، وألقم السكاذبون غصة زادت من مرارتها
روعة الاستقبال الذى وصفه بعض الصحفيين الإنجليز بأنه فاق كل احتفال
أو مظاهرة شهدوها في حياتهم ، حتى حفلات التتويج البريطانى .

كلمة الأستاذ إحسان عبد القدوس

حدث أن كان ولي عهد إنجلترا « دوق وندسور » يقفز بجواده من فوق حاجز فوق وأصيب بسكر خطير .

واجتمع مجلس العموم البريطاني بعد الحادث وقرر حرمان ولي العهد من القفز بجواده من فوق الحواجز ، وكانت حيثيات القرار هي : « إن حياة ولي العهد الإمبراطوري ملكاً للشعب وليست ملكاً له » .

وحدث أكثر من مرة أن قررت الحكومات ونجالت الشعب حرمان ملوكها وأولياء العهد من المخاطرة بحياتهم كقيادة الطائرات مثلاً أو زيارة الخطوط الامامية في ميادين القتال .

وكل هذه السوابق التاريخية تجمعت أمام ناظري عند ما سمعت بحادث القصاصين .

كانت حياة الملك في خطر . . وحياة الملك هي حياة الشعب . .

كان الشعب كله في خطر . . وحياة الشعب هي حياة الملك .

وتجتمع سبعة عشر مليوناً في بقعة صغيرة من الصحراء يسألون في نفس واحد : كيف حال الملك .

وكان الملك في الداخل يتنسم . . . يتنسم لأن الله لطف بشعبه عند ما لطف به ، وأنقذ مصر عندما أنقذه .

إنه كان يعلم أن حياته ملكاً للشعب وليست ملكاً له ، وقد أوقف أيامه كلها وساعاته و دقائقه لخدمة هذا الشعب والرقى به .

وكان يحب أن يعود إلى شعبه ليكمل رسالته . . . فعاد إليه لا بفضل
الاطباء ولكن بفضل الشعب الذى تجمعت إرادته لتعيب الملك إرادة التغلب
على الحادث . . وبفضل الملك نفسه الذى أحب شعبه ففتح شعبه الحياة . .
وبفضل الله الذى أحب الشعب والملك فرد لها حياتهما . .

كانت أيام القصاصين . . استفتاء للشعب .
رقد اعتادت الشعوب أن تتحفظ أمام ملوكها . وأن تراهم دائما خلف
الحرس وخلف أسوار القصور وأن تهتف للزيينات والابهة التى يحيطون
أنفسهم بها قبل أن تهتف لهم .
وكان الملك فى الصحراء وليس حوله حرس ولا زينات ولا قصور .
واعتمدت الشعوب أن لا تذهب لمقابلة الملوك إلا فى رداء رسمى
أو وهم مرتدين الردنجوت والبنجور وحلة التشريفة الكبرى .
وقد ذهب الشعب لمقابلة ملكه فى القصاصين بلا رسميات وبلا ردنجات
ولا « بنجور » . .

وذهب الفلاح بجلبابه الأزرق وأقدامه الخافية . .
وذهب العامل بحلته التى زانها عرق جبينه ورصعتهما بقع الزيت . .
وذهب الطالب وتحت إبطه كتبه المدرسية . .
وكانت هذه هى الأزياء الرسمية الذى يعترف بها الملك فاروق . والجلباب
الأزرق هو حلة التشريفة الكبرى التى تسمح لك بالدخول فى قصر الملك .
إذن فلم يكن ملكنا ملكا تحوطه الرسميات . بل كان أكثر من ملك . .
كان زعيما شعبيا اعترف الشعب بزعامته . .

اثنتان وعشرون يوماً مجيداً . . .

بهرسنار محرم مسنين هبكل

كنت في المنزل . . . وكنت أتأهب للخروج ولجأة دق التليفون وكان المتكلم زميل صحفي أجنبي يعمل في زميلة مسائية أجنبية كذلك . . قال لي :
أعلمت الخبر ؟ قلت :

— أى خبر

— لقد أبلغنا الآن أن الملك قد أصيب في حادثة بالصحراء . . .
ولقد قال لي الزميل فيما بعد أنه لم يستطع أن يفهم مني شيئاً بعد ذلك
لأنني اندفعت في حديث عجيب ثم أقفلت السكة وبعد دقائق كنت في إدارة
الجريدة . . . ! !

ولقد اتيج لي بعد ذلك أن أمتلك أعصابي فذهبت إلى عابدين وهناك
علمت أن الملك في سلام وأن الله حفظه لمصر وللشعب . . .
وعدت إلى إدارة الجريدة وسهرنا طول الليل ننتظر . . وكانت عقولنا
وقلوبنا كما كانت عقول جميع المصريين وقلوبهم في هذه الليلة متجهة إلى
هناك . . . إلى القصاصين . .

ولم نستطع أن نتنفس الصعداء إلا عندما أبلغنا تقرير الأطباء الأول .
وفي الصباح وجدت نفسي بدون أن أشعر أسعى إلى عابدين ولم أكن
وحدى الذى أحس بذلك . . فهناك كانت الأمة كلها . . . وفي هذا الاتجاه
كان هناك سيل يتدفق . سيل من الحب الملمم والعاطفة المشبوبة . . .

وعرف أن الملك لا يزال في القصاصين . . . فتحول السيل الجارف إلى هناك . . . وجأة أصبحت هذه القطعة البعيدة من الصحراء قبلة لسبعة عشر مليوناً من المصريين ومائة مليون من أبناء الأقطار الشقيقة ، وهكذا أصبحت القصاصين جزءاً من التاريخ . . التاريخ الذى ظل يسجل أروع عاطفة أحست بها مصر نحو ملك فى كل تاريخها . .

وكان هذا يوم ١٥ نوفمبر . . .

ومرت الأيام . . .

وعاد الملك ..

وكان ذلك يوم ٧ ديسمبر .

وكان يوماً . . يوماً خالداً لم تر مصر له مثيلاً . . . وشاهدت عودة الملك من الكونتنتال وكنت أعلم أن هناك شخصية كبيرة تشاهد عودة الملك من الكونتنتال أيضاً . . . كنت أعلم يومها السر العظيم . . . أجل فتشرشل نفسه كان فى حجرة ما من حجرات الكونتنتال يراقب مظاهره الشعب وكنت فى شوق إلى أن أعرف رأيه . . . فانتظرت . . . ولم استطع يومها أن أرى المستر تشرشل ولكنى علمت رأيه من أمريكى كبير كان معه وكان أول ما قاله تشرشل العظيم عقب أن مرت سيارة الملك :

— إننى لم أر فى حياتى شيئاً مثل هذا ..

وصدق تشرشل . . . فما رأى أحد من قبل مثل هذا . . . هذا

الحب الخالد . . .

يوم المستشفيات .. يوم الخيرات

... وفي أمسية من أمسيات فبراير الماضي كنت سائراً في شارع شبرا أنا وثلاثة من أصدقائي ، فإذا بنا نجد جمعاً من الناس قد تكاثروا حول رجل ملق على الأرض نخشى أصدقائي أن أذهب هناك لأعرف حقيقة الأمر خوفاً من أن أسقط مغشياً علي ، نظراً لما يعلمونه من رقة شعوري ومن حدة عواطفني ، ولكنني ذهبت ، فمالي أن وجدت شاباً في العشرين يتألم ويتوجع ففعلت أنه يشكو الجوع وأنه يشكو المرض . فلقد ظل على الطوى يومين متتاليين ، ومسكت بطنه مفتوحة من جراء عملية جراحية شهراً وبعض الشهر ، وأسعفناه بما مكنتنا إياه ظروفنا ، وذهبت إلى أقرب تليفون كي أتحدث مع مستشفى القصر العيني الذي أخرج هذا المريض ، ولما يتم علاجه ... ولكي أتحدث مع بعض الملاجيء التي رفضت إيواء هذا المريض ، وكنت على ثقة من أن الدنيا كلها ستقوم وتقعده لهذا الحادث ، وسوف يكون هذا الموضوع حديث البلد بأجمعها بعد حين ، وما كان أشد دهشتي حينما ابتسم لي أحد أصدقائي الرسميين وقال تلك مأساة تتكرر كل يوم ، وليس لنا قدرة على منع تكرارها ، فلم تقم الدنيا إذن ولم تقعد ، ولم يصبح الموضوع حديث البلد بأسرها ، بل أنا وحمدي الذي قت ، وأنا وحمدي الذي قعدت ، وأنا وحمدي كنت محور الحديث .

وبعد أيام قلائل طالعنا سليمان باشا عزمي ببناء يسترد به عطف ذوي الأريحية لم يد المساعدة نحو أولئك الذين تحول المستشفيات بينهم وبين إتمام العلاج ، ويحول الفقر بينهم وبين السعادة الصحية ، وهز المتفائلون

رؤسهم وقالوا : مشروع جميل ، ولكن الرغبة في الخبر رغبة بسيطة ، وكان سليمان باشا عزمي ومن معه على ثقة في نفع مشروعهم ولكنهم لم يكونوا متصورين أى نجاح سيصادفهم حينما تلقوا من معالى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي كتاباً قال فيه :

« اطلع مولاي على نداء : « يوم المستشفيات » الذى وجهتموه إلى القادرين من أبناء الوطن ، كي يساهموا فى إعانة المرضى الناقمين . نحن لا يكادون يغادرون المستشفيات حتى يواجهوا من حاجتهم وفقرهم ما يردهم إلى الضنى . ويقصصهم عن الشفاء . »

ولقد جاء هذا النداء الرحيم صدى لما يجيش به قلب مولاي من حذب على هؤلاء الذين حرّمهم العقر وأكرمهم عناية الله .

وإذا كان حديث المرض والمرضى يلمس رحمة القلوب ، فإن حديثهم قد لمس من قلب مولاي رحمته ونشوته معاً ، فقد علم جلالته من ندائكم أن شباب كلية الطب فى جامعة فؤاد الأول هم الذين سيحملون على أكتافهم عبء هذا المشروع الإنسانى ، وإنهم سيكونون رسل الخير بين الغنى والمادر وأخيه الفقير ، ويسر مولاي أن يعد كل ساع فى هذا السبيل « مندوب الملك » .

وقد قرأ جلالة الملك نداءكم فى يوم ذكرى وفاة والده المغفور له الملك فؤاد الأول ذلك العاهل العظيم الذى كان أول من فكر فى الجامعة وأقام بناءها ، ونشر ظلها ، ورفع منارها ، وإنه مما يسر مولاي أن الفكرة التى غرسها والده بإنشاء الجامعة قد جنت البلاد ثمراتها ثقافة وعلماً ، وتجنّتها اليوم بحبة ورحمة .

وإن جلالة الملك ليرى أن مهمة الجامعة لا تقف عند الدراسة والتحصيل بل تتعدى ذلك إلى المساهمة في خدمة المجتمع والعمل على إنشاء جيل صالح سليم .
إن جلالة الملك يؤمن بشباب مصر ويعتقد أن هذا الشباب قادر على أن يحقق رسالة جلالة لإسعاد شعبه ، وأول ما تهتم به هذه الرسالة وهو أن يكون لكل مصري حقه في العلاج . وحقه في الدواء . وحقه في العناية .
وقد أمرني ، ولأى أن أرسل إليك مع هذا الكتاب تحويلاً ببلغ ألف جنيه مساهمة في المشروع وهدية للمرضى .

وانهالت التبرعات بشكل عجيب غريب ليس له مثيل في دنيا الخير .
وأثبتت مصر وفاءها وولاءها لفاروقها وبرهنت على قوة حيويتها ووطنيتها برهاناً جعل جريدة برافدا الروسية تعد هذا المشروع من أنجح المشاريع العالمية الخيرية .

أرسل أحد الخوذة إلى جريدة الأهرام عشرة فروش وخطاباً ساذجاً جاء فيه : « سمعت في الفموة الجواب اللي بعته حسنين باشا في الراديو يوم السبت ومن أجل كلام مولانا الملك ربنا يخليه لنا فأرسل لسعادتك هذا المبلغ الصغير لكم من رجل فقير ولو كان الأغنياء دفعوا زى الفقراء كان يبقى فيه مليون جنيه » . وكتبت الطالبة إحسان مرسى فهمى بمدرسة الاتحاد النسائي : « إن أخى أعطاني مبلغ خمسين قرشاً لكي أشتري به حلوى بمناسبة عيد ميلادي ولكنني فضلت أن أتبرع به ليوم المستشفيات وللمساعدة الفقراء لأن ملكنا المحبوب هو الذي افتتح التبرع هذا اليوم المشهود . . . »

ووضعت إحدى اللواتي كل ما معها من نقود في صندوق التبرعات ، وكان أحد العمال ذاهباً لكي يحضر لنفسه الغداء ولم يكن معه إلا ما يشتري

به غداه فلما قابله المندوب تبرع بما كان معه وظل يومه من غير غداء .
وتوالى النصر بعد ذلك إذ أرسل حسنين باشا إلى سليمان عزمى باشا
يقول : « يسرني أن أبلغ سعادتكم ما تفضل به مولانا الملك حفظه الله إذ
أصدر أمره الكريم بوضع مشروع يوم المستشفيات تحت الرعاية الملكية
السامية تشجيعاً له وتقديراً لمقاصده النبيلة »

وكان طلبة الطب - وهم منفذو المشروع - قد أرسلوا إلى جلالة الملك
إزاء عطفه الأول خطاباً قالوا فيه :

« إلى مقام مولانا الملك المعظم أعز الله ذات مولانا وحفظه ورعاه ،
وأيده بروح من عنده وأدام نعمه عليه وعلى ذويه وبعد فقد شاء الله والخير
في مشيئته أن تكون سدتكم العالية مصدر كل عزة وكرامة ورحمة ورفعة
لهذا البلد الأمين . فأنتم يامولانا مصدر ذلك النور السماوى ، وكل
فرد من رعيتكم إنما يحمل بإسمكم الشريف قبساً من النور وما أسمى فضلكم
يامولانا حين قبلتم كل من أجرى الله على يديه خيراً لهذا الوطن
العزيمندوباً عنكم فلتسبحوا يامولانا لشباب الجامعة أن يحملوا هذه الشعلة
المقدسة أينما حلوا وأينما ارتحلوا . . . فإليكم يا صاحب العرش الذى تهتف
به قلوبنا وضئائنا ومشاعرنا وسرائرنا قبل هتاف ألسنتنا ، إليكم يامنار
الوطن وفاروق الحق نرفع من شكرنا ما يطيقه منطقتنا ، وندخر منه ما جرى
بجرى الدم والعروق ومسرى الروح من الجسد » .

وشاء الله لهذا اليوم أن يصير يوماً تاريخياً معدوداً من أيام مصر
الخالدة وسيبقى علماً على الخير وعنواناً للبر ، وسوف يظل اسم الفاروق
مرفرفاً على هذا اليوم السعيد المجيد إن شاء الله .

الفاروق يقضى عيد ميلاده

بين منكوبي الملا ريا

في أول فبراير الماضى استعدت البلاد من أقصاها إلى أقصاها لعيد ميلاد حبيبها وصديقها ومليكها الفاروق .

واستعدت مختلف الهيئات لإشقي الحفلات والاحتفالات ولما كان سؤالاً واحداً كان هو الذى يتردد على فكر كل إنسان ، فى أى مكان سيقضى الفاروق عيد ميلاده ؟ قال بعضهم : « فى الاسكندرية عروس البحر المتوسط العاصمة الثانية .. حيث المدور والجلال » . وقال آخرون : « كلا بل القاهرة هى التى ستعظمى : لميكها يحبوها كما يحبوها دائماً بعطفه ويشملها كما يشملها دائماً برعايته ... »

وغدت القاهرة قبيل العيد فاتنة كل الفتنة ساحرة كل السحر .. ولكن الفاروق قد فكر تفكيراً آخر دل على ما تنطوى عليه نفسه من حبه لشعبه ووفائه لأمة ..

ففى الساعة العاشرة والنصف من صباح ١٠ فبراير كان قطار الديزل الملكى فى محطة الجزيرة ... وهناك كان الفاروق .. إلى أين يذهب الفاروق ؟ .. إلى الصعيد ؟ إلى مناطق الملا ريا ... ماذا ؟ . ليقدّم هدية عيد ميلاده إلى من جردم الفقر والمرض من الشعور بالسعادة ..

لقد قام القطار مقلاً جلالة الملك مودعاً من محطة الجزيرة بالهتافات والدعوات الصاعداً توأ إلى خالق الأرض والسموات .

كان برفقة الملك رفعة حسنين باشا وعمر فتحى باشا ومراد محسن باشا
والدكتور عباس السكندراوى باشا والمصحفين القديرين مصطفى أمين بك
وكرم ثابت بك .

وهؤلاء الذين اختارهم الملك لرفقته هم أقوى الناس احتمالا وأكثرهم
صبراً على كافة المشاق . . فلم تكد تمر التسع ساعات التى قطعها القطار حتى
إسنا حتى شعروا جميعاً بالتعب . . ولكن الملك هو دائماً الملك حتى
فى التعب . . .

لقد كان الملك يتحدث دائماً طوال الطريق عن الملايا والمصابين
بالملايا . . . وعن وجوب مساعدتهم مساعدة فعالة سريعة . .

واقداً كان يتطلع إلى وجوه الألوف المؤلفة التى امتدت على طول
الطريق من الجيزة إلى إسنا ، والتى كان منظر ولأثها ووقوفها بالغاً منتهى
الروعة والجلال . . . كان الملك يتطلع إلى الوفاء والولاء الصادرين من
شعبه عن طريق هتافه ودعائه فيبتسم لأنه يبادلهم نفس الشعور ونفس الحب .
هو يثق دائماً فى شعبه ويعتقد أن شعبه يثق فيه . . . وهو مطمئن دائماً
إلى شعبه وشعبه مطمئن دائماً إليه .

لقد قال لجلالته أطباؤه إن صحة جلالته لا تحتل هذا العناء والتعب ،
ولكنه كان يعتبر أن أمثال هذه الأعمال الخالدات ستزيل كل عناء وتعب .
وكيف يحس بعناء وتعب هذا الذى يأبى إلا أن يدرس حالة كل
طائفة من شعبه بنفسه . .

وكيف يحس بعناء وتعب هذا الذى يريح بيده كل من الموت عن
ألوف مؤلفة من أفراد شعبه . .

وكيف يحس بعناء وتعب هذا الذي يمد يد العون والمساعدة إلى ألوف مؤلفة من أفراد شعبه . . . إن العبء ثقيل على كل ملك ولكنه على فاروقنا أثقل الأعباء . . . ذلك لأن له من حساسيته الرقيقة ومن عواطفه النبيلة ما يدفعه دائماً إلا أن يعمل ليل نهار في سبيل إسعاف كل مريض وإطعام كل جوعان وكساء كل عريان ونصفة كل مظلوم .

ودخل جلالة الملك استراحة الخاصة الملكية بإسنا ، ووجه إلى موظفي التفتيش أسئلة دقيقة دلت على تتبعه لكل صغيرة وكبيرة مما يتعلق بحالة هذا الجزء المريض من شعبه . . .

وكان المساء نخرج الفاروق وحده . الفاروق وحده . الفاروق وحده . يتجول في القرى والكفور . . . يسأل كل سائر عما يشكو منه . . . وعما يشعر به . . . وهل يحسله الطعام بانتظام أم لا . . . وهل هو راض عما يفعله رجال الخير هناك أم يرجو المزيد . . . ويتحدث مع من يقابله بديمقراطية اختصه الله بها ومنحه إيانا . . . ويلقي السلام على جميع من يقابله ، ويזור بعض الدور التي خيم عليها المرض والفقر . . .

وعاد الفاروق بعد أن قام بما كان يقوم به الخلفاء الراشدون . . . وفي الصباح الباكر تنكر جلالاته وخرج وحده . . . وحده . . . يزور بقية القرى والكفور والأكواخ والبيوت . . . لم تكن تلك زيارة عابرة للاستطلاع ولكنها كانت زيارة عميقة للتقصى والاستفسار ، كان الملك يريد أن يرى كل شيء بنفسه ، وأن يلمس كل شيء بيده . . . كان يسأل عن الجميع لأنه ملك الجميع ، وكان يعطف على الكبير والصغير لأنه حبيب الكبير والصغير .

وهنا . . . هنا في هذا المكان ضرب الفاروق رقاً قياسياً في المحبة

والعطف والشفقة والرحمة . هنا في هذا المكان ارتفعت مكانة الفاروق فوق مكانة كل الملوك . . هنا في هذا المكان زرعت شجرة الحب والوفاء التي زرعها وسقاها بنعمتها الفاروق . . ألا ليت الكبراء والتفطرسين من الأغنياء والحكامين والمحكومين اتبعوا هذا التلميذ الكريم . .

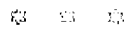
ملك يخرج وحده في الصباح الباكر ، يزور المناطق المريضة بأشد الأمراض فتكاً وقابلية للعدوى ، ملك يترك عاصمة ملكه تعج بالاحتفالات والحفلات ابتهاجاً بعيد ميلاده السعيد ، فيترك كل هذا ليأتي إلى الصعيد مداوياً أبناء الصعيد . . ملك يخرج وحده لا حرس يحرسه ولا ركناً يسير وراءه . . ولا زينات تقابله ولا أقواس للنصر تتقدمه . . ملك هذا شأنه أيكون حقاً ملكاً أم ملاكاً .

لقد قلت يوماً في حفلة من الحفلات إن الفاروق رماه الله لم يخرج وحده كما تزعمون ، ولم يذهب إلى أمثال هذه الكفور والدور وحده كما تقولون . لقد كان — وما زال — محروساً في كل مكان نزه وفي كل رحلة ارتحاضها ، كنفاه بالله حارساً ، وبالله معيناً ونصيراً . . ثم ما لكم تفسون هذه الأرواح . . أرواح خمسة وعشرين حيواناً ترافقه في كل مكان . . ونحو طه برعايتها في كل زمان .

لا . لا ليس هذا موطن العجب أيها السادة ، ولكن موطن العجب هو أنت زيارة واحدة قسيرة كهذه الزيارة لا تتعدى يومين اثنين ، ثمان وأربعين ساعة ، ألفين وثمانمائة وثمانين دقيقة . . هذه الزيارة تنقذ الملايين من أبناء الصعيد ، بل الملايين من أبناء النيل ، بل الملايين من أبناء الدنيا بأسرها . . لقد أراد الله أن يتقضى على هذا الوباء الفتاك بيد

المليك وبسبب زيارة الملك . . منذ ذلك الوقت تفتحت العيون المغلقة . .
وانبجست القلوب المتحجرة ، وابتدأت الأيدي المشلولة تعمل .
قامت الأمة بأسرها وراء مليكها تدأري مرضاها . . وتمتد يد العون
إلى الفقراء من أبنائها . . .

هذه هي المعجزة الكبرى . . فسبحان من أسبغ رحمته وعنايته على
الفاروق ، وعلى شعب الفاروق .



وحل وقت صلاة الجمعة ، فأبى الملك الصالح إلا أن يؤدي واجب
الدين بعد أن أدى واجب الدين والدنيا ، فاستقل سيارته إلى مسجد إسنا .
وكان الطريق إلى المسجد طريقاً تاريخياً لاعتقد أن الملك ينسى منظره أبداً .
أيد مريضته جاءت بها القوة من الله كي تستطيع أن تصفق . . وأجسام علية
منحها الله القدرة كي تستطيع أن تقوم من فراش مرضها لتدعو ولتهتف .
وأمر المليك بأن تكون الصلاة في المسجد مباشرة لكل أفراد شعبه ،
ولكن هل يستطيع المسجد الإسنى مهما يكن متسعاً أن يسمع كل أفراد
شعبه ، لو وسع المسجد بعض أفراد هذا الشعب وبقى البعض فصولاً حيث
هم . ودعوا الله حيث هم . واستجاب الله دعاءهم حيث هم .

لقد ارتاح بال الفاروق وأطمأنت نفسه ، فلقد أدى واجبي الدين
والدنيا كاملين ، فأرضى ربه وأرضى شعبه . وبعد الصلاة تفضل جلالة
فذهب إلى جمعية الهلال الأحمر لكي يلمس عن كثب جهود متطوعات هذه
الجمعية التي تنوء بحملها العصبة أولو القوة .

استقبل المتطوعات فصاحفن واحدة واحدة وسألن عن أحوالهن

وأعمالهم ومبلغ نجاحهم في مهمتهم السامية .

ثم قال لمن : « إني فخور بالسيدة المصرية التي تضحي براحتها في سبيل هؤلاء الفقراء وهذه التضحية ضريبة يجب أن يؤديها الغنى للفقير فهوؤلاء جميعاً إخواننا وآلامهم آلامنا كلها . . . »

رأى جلالته إلا أن يفتحص كل ما يوزع على الفقراء وإلا أن يتأكد بنفسه من عدالة التوزيع . . فدخل الأماكن التي يعد فيها الغداء حتى « الفرن » دخله جلالته وشاهد الفلاحات وهن يهيشنه .

كما رأى جلالته إلا أن يزور القرى البعيدة والكفور النائية . فكانت سيارة الملك أول سيارة تكتشف هذه الأماكن المجهولة . . . كانت العربات التي تعترض السيارة من سدود ومنحنيات كثيرة . . ومع ذلك وصل الملك إلى ما يبتغيه وما يرتجيه .

وفي كوخ صغير جالس الأب والام وحولهما أولادهما يفكران تفكيراً جدياً في مستقبل حياة الأسرة . . . لقد مرض بهنهما وسيمرض البعض الآخر . . . وعما قليل سينفذ ما عندهما من الغذاء وسوف لا تنجمل الملابس الممزقة التي عندهما أكثر مما تحملت . . . غداً سوف يخلو البيت من غذاء وكساء . . أين رحمة الله بعباده ؟ . . لقد تمنى الأب كما تمت الأم أنهما لو كانا في القاهرة مثلاً لكان هناك من يشمر بهما . فهناك جمعيات الخير الكثيرة . والملاجئ المتعددة . وهناك أناس ينفقون عن سعة قريتها جاءها ولاسرتها من الخير عن طريقهم . . ولكنهم هنا في أقاصي الصعيد . . في الرمال من يعرف حالهم ؟ . . من يسأل عنهم ؟ . . من يفكر في حياتهم ؟ وما أخالهما إلا

تمنيا زيارة طبيب المركز لكي يداويهما مما بهما من مرض وإن عجز عن أن يداويهما مما بهما من فقر... الأسرة جميعها تفكر... حتى الأطفال الصغار شعروا بما يحول في خواطر والديهم.

وبخفة دخل رجل على محياه الكرم فابتهجت القلوب ابتهاجاً عظيماً... فلما علم أن ذلك الرجل الكريم هو الملك الكريم... هو الفاروق الكريم لم تعد الأسرة قادرة على الحديث من فرحة المفاجأة...

لقد تفضل الملك فصافح الأب وصافح الأم وربت بيده الكريمة على أكتاف الصغار... زغردت الأم... وأغرورت عين الأب... وهتف الأولاد... فبدأ على الملك الابتهاج والانشراح.

وفي كوخ آخر... كان غير الآخر فيمن يسكنونه ولسكنه كان كالأول في مظهر فقره وفي مخبر مرضه... دخل الفاروق هذا الكوخ فتحول في التو إلى قصر منيف... إلى جنة وارفة الظلال...

كانت الأم تطبخ طعام اليوم ولكنها تفكر في طعام الغد... كانت في الغالب متعبة ولكنها كانت في الحقيقة تتوقع أمراً خطيراً... فلقد سمعت أن ملكاً كريماً حل الصعيد... ولكنها لم تكن تتوقع أن يكون هذا الملك الكريم هو الفاروق... ولم تكن تتوقع أن يكون هو الذي سيوزعها اليوم... لقد عودت أن تسمع دائماً عن الملوك الذين يأتون إلى هنا... إلى الصعيد... فتقف زيارتهم عند حد الأقصر للتمتع بالجو الممتع وللتفرج على الآثار... ولكن من منهم يقبل أن يزورها في كوخها النائي البعيد... إنه الفاروق.

وشم الفاروق رائحة الطعام... فطلب منها أن تكشف النطاء فكتشفه.

شم ذاق الطعام . . فزغردت المرأة المريضة المجهد أية امرأة شجاعة تلك . .
أيها قوة نزلت عليها . أية حيوية احتلت جسمها .

وترك الملك هذين السكوخين إلى غيرهما ، فلما كان وقت الغداء دعا
جلالته المتطوعات اللاتي تركن الحفلات . . . والاحتفالات وغادرن
القصور الشاححات وأتين إلى الصعيد ممرضات . .

دعاهن المليك إلى الغداء . . . وتعارض عامل التشجيع والتعزيد وعامل
الرأفة والرحمة . إنه ليعلم حق العلم أن هؤلاء المتطوعات بحاجة إلى التكريم ،
وإنه ليعلم حق العلم أن الفقراء في حاجة إلى الغداء .

وأخيراً رأى أن يتغدى على المائدة الملكية جميع المتطوعات ما عدا
اثنتين يقومان بتوزيع الغداء على الفقراء . وقبلت الأنسة الفاضلة بلانش عزيز
ودنيس شغوده برسوم أن تقوم بمهمة توزيع الغداء فسكرمهما الفاروق
بسوارين تقديراً لهما على تضحيتهما السكرية .

وفي أثناء الطعام كان محور الحديث هو إنقاذ هؤلاء المرضى ووجوب
الإسراع بمددهم بالدواء والغذاء . . ولما علم جلالته أن المتطوعات يلاقين
صعوبات في المواصلات أمر بتخصيص سيارات لمن

وسحيا الملك في أشخاص المتطوعات كل فئاة نبيلة تعرف واجبتها نحو
بلادها . . لقد كان هذا اليوم هو يوم تكريم المرأة تكريماً لم تره في حياتها
واستقبل المليك السكريم أحد اللذات قاصداً الأقصر وإذا كننا قد
عجزنا عن وصف استقبال المليك في إسنا وعن وصف أعمال المليك في
إسنا فإننا من باب أولى كما تقول النظريات الهندسية أعجز عن وصف
استقبال المليك في الأقصر وعن وصف أعمال المليك في الأقصر . .

في الأقصر

أما الأقصر فقد خرجت جميعها مريضها وصحيحها . . حاضرتها وباديتها تستقبل الفاروق . . منقذ الصعيد فكان ذلك الاستقبال الحافل خير هدية للمليك في يوم عيد ميلاده . .

لقد كان هذا اليوم ، هو يوم عيد الميلاد . . وهل مر في تاريخ العالم عيد ميلاد يقتضى في القرى والكفور . . بين منازل امتلات بالجامبيا وبين أكواخ امتلات بالمرضى . . لقد كان الفاروق قرير العين في ذلك اليوم . منشراح الصدر في ذلك العيد . . لقد مر على الفاروق عشرون عيداً كهذا العيد لم يفرح به كما فرح بذلك العيد . .

ولقد مرت على الشعب مئات الأعياد لم يتهمج لها كما ابتهمج لهذا العيد ، ولم ينشرح صدره في واحد منها كما انشرح صدره في هذا العيد . .

وقام المليك في المساء بجولة رأى فيها تعب المريض . . ولمس فيها مقدار الداء والدواء . . ولقد كان صباح السبت صباحاً مشهوراً لم ير انصعيد مثله في يوم ما فلقد خرج المرضى من أماكنتهم ليحيوا الملك وليروا الملك ولقد نبهت الشفاء المريضة إلا شفاء قوية تهتف كالرعد . . ولقد انقلب البرؤس والشقاء هناءة وسعادة . .

هاهو ذا الفاروق يدخل شوارع وأزقة ودروباً مهجورة . . وهاهو ذا يدخل أحد الأكواخ ويقف بجانب الأب يسأله والطفل الصغير ممسكاً بجماكتيه . . وهاهو ذا الملك يسأل واحدة عن أميتها فتقول وهي الفقيرة المعذمة : أميتي أن أقبل يدك . . ويحقق الفاروق أميتها . . وهاهو ذا يسأل عن أصحاب منزل من المنازل فيقال إنهم ذهبوا رغم مرضهم ليروا الملك فيقول الملك لجيرانهم : سلموا لنا عليهم .

لقد كرم الملك سيدات الهلال الاحمر وأبي إلا أن يكرم سيدات مبرة محمد علي . . كانت السيدة أمينة صدقي ترتدى ملابس ممرضة وأشرف على الأقوات فيأبى الملك إلا أن يشترك في التوزيع بيده الكريمة .
لقد جرى الخير على يديه في البداية فليجر أيضاً على يديه في النهاية .
وأذن مؤذن العودة فعاد الفاروق إلى عاصمة ملكه بعد أن أنقذ الأمة بأسرها . .

ولما عاد من رحلته الميمونة شعرت الأمة بخطورة الحال في قنا وأسوان ، فانهاالت التبرعات من مختلف الجهات ، وأقبل المتطوعون والمتطوعات على الذهاب إلى هناك .

وكان جلاله الملك قد تبرع في يوم زيارته الأولى بعشرة آلاف من الجنيهات . وقد ظل يشجع العاملين والعاملات بشتى ضروب التشجيعات . ولقد حدث أنه صلى الجمعة في مسجد الأربعين . وبعد الخطبة تبرع بعض الناس بما تجود به أريحياتهم ففضل جلاله الملك بدعوة المتبرعين إلى الغداء على المائدة الملكية وقال : « إني أكرم من يكرم الفقير » ولا يسعنا إلا أن نذكر بالشكر والإعجاب ما قدمته جلاله الملكة المحبوبة لسيدات الهلال الاحمر ومبرة محمد علي من التشجيع والتعزيد الذي كان أثره بالغاً في نجاحهن في مهمتهن . .

لقد تفضلت ذات يوم فأشرفت على إعداد ملابس المنكوبين وقالت : « إنني لم آت الزيارة وحدها بل لمشاركة الأعضاء في عملهن » وتفضلت بتفصيل ست قطع من الملابس . .

يوم الشباب والعلم

... وهذا يوم آخر له مغزاه ودلالته ، وله عظمتة ونبالته ، لا يقل عن أيام الصعيد روعة ولا جمالا . . فلقد رأى جلالة الملك أن شباب مصر المتوثبة للمجد . . في مفترق الطرق .. كالحيارى لا يجدون دليلا . . وكالجيش لا يجدون قائداً . . فتفضل جلالته فكان الدليل وكان القائد . . وتفضل جلالته مرة أخرى فأثبت زعامته للشباب . . وقيادته للفتيان بصورة رسمية علمية في يوم الخميس ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣

هاهو ذا قصر عابدين العامر تفتح أبوابه لأول مرة في تاريخ مصر وفي تاريخ القصر . . وها هم أولاء هه طالباً وطالبة ، شاباً وشابة هم أوائل المتخرجين والمتخرجات يدخلونه . . وها هم رجال القصر الفاروق العامر يستقبلونهم فرحين باسمين وها هم يطوفون بهم أرجاء الدار .

فإذا حان موعد الاحتفال جالس المتخرجون والمتخرجات في حديقة القصر برهة وإذا بهلال الفاروق يظهر في سماءهم فكان الاستقبال الحماسي الرائع الذي تعودنا ألا نصفه وعودنا ألا بوصف . . وكان أن تفضل الملك فصافح كل فتى وكل فتاة وأهدى صورة جلالته موقعا عليها بالتوقيع الملكي إلى كل فتاة وفتى . وألقى أحمد حسنين باشا كلمة جلالته وهي التي صدرنا بها كتابنا . . والتي كانت بعثاً جديداً لحياة الشباب وقوة جديدة هبطت على الشباب . . ونصرآ جديداً لمعسكر الشباب . .

كان هو اليوم الأغر في تاريخ الشباب ، ولست أراني في حاجة إلى القول

بأن هذا الاحتفال وهذه الرسالة كانت حافزاً لهمم الشباب . . مشيرة لروح
المنافس في الخير بينهم ، حتى لقد عدها بعض كبار الكتاب دستور الشباب
في دولة الشباب ، ودارت عجلة الأيام وفي نفس الموعد من العام التالي أم
قصر عابدين . . ه متخرج ومتخرجة من أبناء وادى النيل ، وكان اسماعيل
تيمور باشا يلقي على مسمع جلالة الملك اسم المتخرج أو المتخرجة فيصاحفه
جلالته أو يصاحفها . . ويشجعه أو يشجعه . .

وكان مسك الختام تلك الرسالة الملوكية الرائعة التي يسرنا أن نختم بها
كتابنا . وها هي :

« يا شباب العلم تهنئتي وتحياتي إليكم ، وهذه يدي أصافح بها فتاتكم
وأصافح فتاكم وكأني حين صافحتكم قد أخذت العهد والميثاق على أن تكونوا
لمصر يداً واحدة تجدد مجدها وترفع بناءها وتشر رايتها فوق الزمن . .
ويطيب لي في هذا المقام أن أتحدث إليكم وقد لاحت في الأفق بشائر
النصر والسلام

يا شباب العلم إن الأيام التي خلفتموها وراءكم ليست شيئاً مذكوراً إذا
قيست إلى ما تطلبه منكم أيامكم المقبلة من جد واجتهاد .
إن اليوم أشد من الأمس ياساً فأعدوا له ما استطعتم من قوة وعزيمة
وواجهوه بالنضال والمثابرة وخذوا علم غدكم كما أخذتم علم أمسكم فان العلم
متجدد كل يوم ، ومن فاته علم يوم فقد تخلف عن مركب الحياة ،
يا شبان النيل إن مصر تدخركم لها فلا تدخروا فكرة ولا عاطفة ولا طاقة
في سبيلها .

لا نعرف ولا تعرفون ماذا تهيء لكم الأيام ولكن الذي نعرفه

وتعرفونه هو أن تكونوا دائماً مؤمنين بربكم وحقوق بلادكم مخلصين في وطنيتكم معترزين بمصريتكم ، ليس مقدرآ لكل إنسان أن يكون علماً في بلاده ولكن كفاه أن يكون خادماً أميناً لبلاده ، فاجعلوا مصر قبلتكم واجعلوا الأمانة في خدمتها رسالتكم ما نمت لكم الآمال فليكن في سبيل مصر احتمالها وامضوا في طريقكم تحف بكم عناية الله .

هذه رسالتى إليكم فاحفظوها ، وليبلغ الحاضر منكم الغائب مع تحياتى إلى أهليكم الذين تولوا تربيتهكم ، وإلى أساتذتكم الذين تولوا تثقيفكم .
والله أسأل أن يهديكم ويوفقكم إلى سبيل الرشاد .

فاروق



شكر واعتذار

إلى أصحاب الدولة والمعالي والسعادة والعزة وإلى حضرات الأساتذة الصحفيين وإلى حضرات الكتاتبات الفاضلات الذين كتبوا مقالات لنا نشرنا هنا بعضها وحال نطاق الكتاب دون نشر الكثير منها . . أتقدم بدم بالشكر . . وبالاعتذار . وموعدنا الطبعة الثانية إن شاء الله .

قريباً جداً جداً . . .

يصدر المؤلف مجلته الجديدة . . مجلة التجديد والإصلاح . . مجلة
الكفاح والنضال .

المجلة التي ستوحد كلمة القادة والشباب . .

المجلة التي ستسود في مصر إن شاء الله دعوة صاحبها . .

المجلة التي تشجع الأكفاء ، والتي تدافع عن المظلومين ، والتي تحارب

الطغيان أين وجد .

المجلة التي يحرقها خمسة وعشرون مليوناً من أبناء وادي النيل . .

مجلة الفلاح والعامل . . مجلة المالك وصاحب العمل . . مجلة الجميع .

كتب تحت الطبع للمؤلف

(١) « محمد محمود الزعيم النبيل » تاريخ حياته ، وتاريخ حياة النهضة
السياسية المصرية الأخيرة بلا تحيز ولا تحزب .

(٢) مصر الجنوب (السودان) القول الفصل في ضرورة اتحاد الوادي
من وجهة النظر التاريخية والاقتصادية والسياسية والقانونية .

(٣) مصر الجديدة ، برنامج تفصيلي لما يجب أن تكون عليه مصر بعد
الحرب . . سياسي واقتصادي وعلمي وأدبي .

(٤) « المرأة المصرية » ما أدته للأمة من خدمات في الماضي وما يجب
عليها أن تؤديه لها في المستقبل .